

أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنْبَتِي

وماله وما عليه

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشعالي النيسابوري
المتوفى في عام ٤٢٩ من الهجرة

بتحقيق

محمد محي الدين عبد الحميد

عفا الله عنه

يطلب من ناشره

مكتبة الحسين التجارية

لصاحبها، محمود توفيق

عندى — بعد هذه المقدمات — أن يدور بحثى حول « دين المتنبي ، وأخلاقه ، وتنبئه . وموقفه من النحاة » . وما كدت أنتهى من ذلك الأمر ، وأخلص من التفكير بهذه النتيجة حتى عرض لى أمر آخر ألقىته له بالى كله ، وذلك الأمر هو المقصود بهذا المهرجان : أهو تقرىظ المتنبي والثناء عليه ، إما بإطرائه وكيل المديح له إن حقاً وإن باطلاً ، وإما بإثارة الجليل من أخباره وشعره والإعراض عما عسى أن يغض من شأنه ، أم هو بحث المتنبي من جميع وجوهه لوجه الحق من غير تعنت ولا تحيز ؟ ولم أزل أفكر وأقدر للأمر حتى أيقنت أن هذا الحفل الذى يجمع أقطاب الأدباء والعلماء من كل قطر لا يمكن أن يستوى عنده الأمران ، فإن فرق ما بينهما أوضح من أن يدل عليه . وأى إنسان يستطيع أن ينسى الفرق بين حفل يجتمع لتكريم رجل وبين حفل يجتمع فيه صفوة الأدباء لدراسة رجل من رجال الأدب كان له أشياع وأعداء ، وكان أشياعه ينشرون مآدحه ويذيعون فضائله ويتأولون له ، وكان أعداؤه يملأون الأرض من حوله عجيحاً ويرمونه بكل نقائص الإنسانية ، وهم لا يتورعون عن الكذب فيما يحدثون به من أخبار ، أليس من أول ما يلزم الباحثين أن يعرضوا مقالات أعدائه وشيعته جميعاً على موازين البحث الصحيحة ليخلصوا بنتيجة ترضى العقل وتسد حاجة التفكير ، غير مباليين أن تكون هذه النتيجة بما يتمدح به أو بما يعده الناس نقصاً ؟ فإن أنا عرضت عليكم شيئاً من هذا : فهذه معذرتى وهذا رأى . ولعل لا أكون قد أبعدت أو جانببت الصواب فيما ذهبت إليه .

دين المتنبي

أيها السادة : لقد منى أبو الطيب بصنفين من الناس كان لكل واحد منها من الأثر فى حياته وفى أخباره التى تتوارثها إلى اليوم أقبح الأثر . ولولاهما

لماش الرجل عيشة هادئة ، ولولاها لكانت صحيفته في تاريخ الشعر والشعراء غير الصحيفة التي نقرأها اليوم ، ولولاها لما وجد الباحث عنه هذا الغموض وهذا التناقض اللذين يعانیهما الآن .

أما أحدهما فجماعة من ذوى المكانة بين الناس وأصحاب الجاه ، خافوه على أنفسهم ، ورهبوا أن تمتد مطامعهم إلى مكائهم وجاههم ، أو طمعوا منه في أن يتملقهم ويرائيهم فيرد حضرهم كما كان غيره يردها وكما كان هو يرد حضرة غيرهم من الملوك والأمراء ، فلم ينالوا ذلك منه ، أو دفعت أبا الطيب نوازع نفسية فزال من أعراضهم ، فكانوا لأحد هذه الأسباب أو لها كلها مجتمعة يحقون عليه ، ويغضون من شأنه ، وكانوا مع ذلك يؤلبون عليه الشعراء والعلماء لينالوا منه ويؤذوه في نفسه وفي شعرة ، وكان أبو الطيب يخشاهم ويذهب سلطانهم ، بل لم يكن يخشاهم على نفسه فحسب ، وإنما خشيتهم على بعض أصدقائه ومن يشفق عليه

حدث أبو إسحاق الصافي قال :

« راسلت أبا الطيب رحمه الله في أن يمدحني بقصيدتين وأعطيه خمسة آلاف درهم ، ووسطت بيني وبينه رجلا من وجوه التجار ، فقال : قل له : والله مارأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا أوجب على في هذه البلاد أحد من الحق ما أوجبت ، وإن أنا مدحتك تنسرك لك الوزير (يعني أبا محمد المهلب) وتغير عليك ، لأنني لم أمدحه ، فإن كنت لا تبالي بهذه الحال فأنا أجيبك إلى ما التمت ، وما أريد منك مالا ، ولا عن شعري عوضا ، فتنهت على موضع الغلط ، وعلمت أنه نصح ، فلم أعاوده » اهـ .

وأما الصنف الآخر فجماعة ممن كانوا يأملون أن تسكون لهم المنزلة التي أدركها : من الخطوة عند الملوك ، وحرص كل واحد منهم على أن يكون أبو

الطيب من بطانته ، وتنافسهم في ذلك ، فلما لم يبلغ هؤلاء المؤمنون هذه الأمانة أكل الحقد عليه قلوبهم ، واشتعلت جذوة الحسد بين جوارحهم ، فتفتنوا في القول عليه والدس له . ونشروا عنه من المقايح ما لم يكن يعلم من أمر أكثره شيئا ، ولم يكتفوا بأن يعملوا على إبعاده عن الملوك الذين كان التقرب إليهم منتهى آمالهم . بل حاولوا التفريق بينه وبين الجمهور ، فجاءوه من ناحية الدين : ثقة منهم أن الدين في نظر جمهرة الناس وعامةهم المنزلة الأولى . فإذا أتى الرجل من جهة فقد سقط وإن بقي له كل شيء .

ورموه بأنه كان رقيق الدين تاركا لأركان الإسلام ، ورموه بأنه كان يستخف بالأنبياء ويستصغر شأنهم ، ورموه بأنه ذهب في الفلسفة مذهبا بعيدا عما يعتقده المسلمون ، وقد نسوا - حين رموا أبا الطيب بذلك كله - أن دين الإسلام شديد الصرامة في حكم هذه المسألة ، وأنه لا يحل لمن يعتقه أن أن يرمى أخاه بأمثال هذه التهم لإرضاء حفيظة نفسه حتى يكون بين يديه دليل لا يقبل التأويل .

ولسنا - حين نتشكك في أخبار هؤلاء الناس ، أو نشكر استنتاجهم - ندعى لأبي الطيب أنه كان رجلا صالحا ورعا يقوم الليل ويصوم النهار ويطيل العبادة وقراءة القرآن ، واسكننا فعل ذلك لنقرر أن حياة أبي الطيب قد أحاطها أعداؤه بكثير من الغموض ، وأحاطوها مع هذا الغموض بكثير من الأكاذيب والمفتريات ؟ كان من شأنها أن تربك حياته سلسلة من المتناقضات .

حكى علي بن حمزة البصري قال : « بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال حمودة ، وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال ذميمة . وتلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن » . وهذا خبر لم يذكر قائله معه وجها يقربه من الصدق . وهل يستطيع إنسان في الدنيا أن ينفي عن آخر فعل شيء حتى يزعم أنه لزمه طول حياته فلم يفارقه ، وأنه ما رآه يفعل قط ؟ !

ثم إن أمر الصوم في حديث علي بن حمزة أهون من أمر الصلاة وقراءة القرآن ، فهو يستطيع أن يدعى مرة أخرى أنه رأى أبا الطيب كل عام في شهر رمضان في حلب ومصر والعراق وشيراز وسائر البلاد التي وطئها قدما أبي الطيب ، وأنه رآه مع ذلك يأكل أو يشرب نهارا ، يستطيع أن يدعى بهذا كله ، وحينئذ يتم له ما أراد من أنه بلا من أبي الطيب خلة ذميمة وهي أنه ماضام ، ولما كن أنى له أن يدعى ذلك ! فأما أمر الصلاة وقراءة القرآن فتجن نسائله : أكان قد لزم أبا الطيب في مغداه ومراحه ومتيقظاه ومنامه حتى يستطيع أن يزعم أنه ما صلى ؟ وشيء آخر : ذلك أنه بلا منه خلة محمودة وهي أنه ما كذب ، فهل سألته عن صلاته وقراءته القرآن فحدثه وصدقته الحديث أنه ما صلى ولا قرأ القرآن ؟ والحق أن علي بن حمزة البصري رجل أراد أن يرمى أبا الطيب بما رمى به أمثاله أمثال أبي الطيب من قبل ، وبما لا يزال أمثاله يرمون به أمثال أبي الطيب إلى اليوم ، يريد بذلك أن يرضى خصوم أبي الطيب أو يشبع شهوة الاتيغام منه ، وأراد أن يعمى على الناس ويحملهم على تصديقه فذكر في صدر حديثه أنه بلا منه ثلاث خلال محمودة . وهذه العبارة - فيما نعلم من أمر الناس - إحدى الدلائل على اختلاق الحديث بهذا ، وقد ذكر أبو العلاء في شأن صلاة أبي الطيب قال : « وحدثت أن أبا الطيب أيام كان إقطاعه بصف^(١) رثى يصلي بموضع بمجرة النعمان يقال له كنيسة الأعراب وأنه صلى العصر ركعتين ، فيجوز أن يكون رأى أنه على سفر وأن القصر له جائز » فهل يمكن أن يكون خبر علي بن حمزة بعد ذلك موثوقا به ؟ فأما تأول المتنبي وأنه رأى أن القصر له جائز فأمر آخر ليس بحثه من شأننا الآن . وقراءة القرآن التي زعم علي بن حمزة أن أبا الطيب لم يفعلها ، أفى الناس من

(١) قال ياقوت : « صف : ضيعة بالمجرة كانت إقطاعا للمتنبي من سيف الدولة ، ومنها هرب إلى دمشق ، ومنها إلى مصر » .

يعقل أن رجلاً نشأ على حفظ اللغة واستظهار غريبها حتى رويت عنه في ذلك الأعاجيب ، وكان يتنقل في البوادي ليلتقطها من أفواه الأعراب - يجد القرآن بين يديه وهو كتاب لغة وأسلوب وفكر . فوق أنه كتاب هداية وخلق وآداب ، ثم لا يقرؤه ليتأسى به ويتقيل أساليبه ويتخذ من أطراده منطلقه وإحكام الحجارة فيه منهجاً لنفسه ؟ ونحن نذكر لعلي بن حمزة أن أبا الطيب قد قرأ القرآن وفهمه ، ونذكر له مما يشير إلى ذلك قوله من قصيدة يمدح فيها كافوراً :

كأن كل سؤال في مسامعه قصص يوسف في أجفان يعقوب
وقوله من قصيدة يمدح فيها محمد بن زريق الطرسوسي :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
فأما ما ذكره من استخفافه بالأقبياء ، واستصغاره بشأنهم ، وعدم مبالاته بأصول العقيدة - فقد رأينا فيما جمعناه من كلام أبي الطيب مما هو متصل بهذه المسألة أن بعض ما ذكره أهون من أن يؤبه له كقوله :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود
وكقوله :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في شهود

وأى شيء في أن يشبه نفسه وهو يقيم بين قوم يعتقد أنهم أعداؤه بالمسيح عليه السلام حين أقام بين اليهود ؟ وأى شيء في أن يدل على أن بقاءه بين قوم لا تجانس بينه وبينهم غربة تشبه اغتراب صالح عليه السلام إذ كان يعيش في وسط لا يرون رأيه ؟

وبعض ما أخذوه عليه تجد له محملا في الكلام لو أنت حملته عليه لم
يكن به بأس ، وذلك كقوله في قصيدة مدح بها الحسين بن إسحاق التوسني :
فما ترزق الأقدار من أنت حارم وما تحرم الأقدار من أنت رازق

فإنه يمكن أن يكون قد أراد أن الحسين بن إسحاق رجل موفق إلى
السداد وإصابة المقادير ، فهي تجري دائما موافقة لما اهتدى إليه ، ولا شيء
في ذلك فيما نظن .

وأما بقية ما أخذوه عليه فداخل في باب المبالغة التي تجري على ألسنة
الشعراء وهي لم يخالف قلوبهم ، وأبو الطيب كثير المبالغة في شعره ، فنحن
نأخذها عليه من الناحية الأدبية ، ولا نستدل بها على فساد عقيدته ، فمن ذلك
قوله في مدح محمد بن زريق :

لو كان للنيران ضوء جبينه عبت فصار العالمون مجوسا
ومن ذلك قوله من قصيدة يقولها في صباه :

عمر ك الله هل رأيت بدورا طلعت في براقع وعقود
راميات بأسهم ريشها الهد ب تشق القلوب قبل الجلود
يترففن من في رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وقد اعتذر الناس عن قوله «هن فيه أحلى من التوحيد» بوجوه: أحدها
قاله ابن جني، وملخصه إنكار هذه الرواية والرواية الصحيحة عنده «هن فيه
حلاوة التوحيد» وقد سرى إلى ابن جني داء النحاة في تحريف الشواهد
وتغييرها على ما يوافقهم . والوجه الثاني : تفسير التوحيد بأنه ثمر من ثمار
العراق حلو المذاق ، والوجه الثالث قاله العكبري ، وملخصه أنه ليس المراد
تفضيل حلاوة الرشفات على حلاوة التوحيد ، وإنما المراد تقريب حلاوتها
من حلاوته ، لأن حلاوته ثابتة غير مشكوك فيها وحلاوتها غير معروفة .
وذلك الوجهان من باب التمحلات البعيدة كما ترون ، وليس لنا إلا أن

نعترف بأن هذا غلو أفرط فيه أبو الطيب فتجاوز الحد .

ومن ذلك قوله من قصيدة مدح بها أبا شجاع عضد الدولة :

الناس كالعابدين آلهة وعبيده كالوحد الله

وقوله من قصيدة مدح بها بدر بن عمار :

لو كان عليك بالإله مقسماً في الناس ما بحث الإله رسولا

لو كان لفظك فيهم ما أنزل القرآن والتوراة والإنجيل

وكل هذا من الغلو البعيد كما قدمنا ، ونحن نعتب عليه أنه قد أسلس العنان

لفكره حتى جال في هذا الميدان ، فلا بدع أن يتلى من غباره وتصيبيه

إحدى قذائفه .

فأما ما اتهموه به من الذهاب في فلسفته مذهبا لا يقره الإسلام فإنني أبادر :

بإنكار ذلك عليهم ، وأعرض عليكم شيئا مما ذكروه لتبينوا بأنفسكم أنهم

لم يكونوا منصفين حين نسبوه إلى ما نسبوه إليه :

زعموا أنه أنكر المعاد لقوله :

تمتع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام

فإن اثبات الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

وأى دليل في هذا الكلام على إنكار المعاد ؟ وأى شيء في أن تقول : إن

للموت معنى غير معنى النوم واليقظة ؟ ومن ذا الذي يزعم أن معنى الموت هو

معنى النوم واليقظة ، أو أن حال الإنسان فيه كحالهما فيهما ؟

وزعموا أنه يرى رأى السوفسطائية الذين ينكرون ثبوت حقائق

الأشياء لقوله :

هون على بصر ما شق منظره فإنما يقظات العين كالحلم

ولو كان ذلك من مذهب السوفسطائية لما جاز لأحد أن يشبه شيئا بضده

إذا اشترك في أمر من الأمور . ونحن ما نزال نسمع الناس يقولون : إن نوم فلان ويقظته سواء ، إذا كان لا يستفاد من يقظته أو كان لا يجد الراحة في نومه كما لا يجدها في يقظته ، وما نزال نسمعهم يشبهون الموجود بالمعدوم ، والمنير بالمظلم ، وهكذا مما يجري على الألسنة من غير أن يلتفت أحد إلى هذا الذي زعموه

ونسبوه إلى القول بقدم العالم مستنتجين ذلك من قوله في قصيدة رثي فيها أخت سيف الدولة :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب ، والخلف في الشجب فقيل : تخلص نفس المرء سالمة . وقيل : تشرك جسم المرء في العطب وهذا استنتاج لا يقضى العجب منه . بل أنا أصارحكم — ولا ضير على في ذلك — بأنني لم أعرف وجه هذا الاستنتاج ، ولو استنتجوا من هذين البيتين أنه ينكر المعاد لكان لاستنتاجهم وجه ، على أنه إذا صح أن يكفر رجل بهذا الكلام لوجب أن نحكم على علماء المسلمين عامة بالكفر ، ونحكم بذلك بادي الأمر على المشتغلين بعلم الكلام والرد على فرق الملاحدة ، ذلك بأنهم يحكون لنا أقوال الكفار كما حكاهما أبو الطيب في هذين البيتين ، بل إن علماء المسلمين أولى بهذا الحكم منه ، لأنهم يذكرون مع ما يحكونه من الآراء شبهة أهل هذه الآراء ، وقد يصورون شبهاتهم في صورة الأدلة . يجب عند خصوم أبي الطيب أن يكون علماء المسلمين كفارا وإن لم يعتقدوا ما يحكونه من آراء ، وإن كان عندهم من الأدلة على بطلانها مالا يدخل في حساب أحد .

وفي الحق أن أعداء أبي الطيب لم يكونوا موقفين فيما رموه به ، وأن أبا الطيب نفسه لم يسعفه التوفيق في كل ماجرى على لسانه .

وما يتحمل بالكلام على دين أبي الطيب أنه لم يشرب الخمر إلا في القليل

النادر : فليس هو من المدمنين الماجنين ، ولذلك لا تجد في شعره شيئاً من
 النجون إلا أن يهجو فيقذع في هجائه ، وما لأبي الطيب والخروهي إنما يشربها
 الغواة وذوو البطالة ومن لامطمع لهم في الحياة يسعون لتحقيقه ، فأما الرجل
 الذي يفكر في المجد ، ويأمل أن يصل إلى ذروته فليس ممن يفكرون في الخمر .
 حدثوا أن صديقاً لأبي الطيب كنيته أبو ضبيس سأله يوماً أن يشرب
 معه فأجابه بقوله :

ألذ من المدام الخندريس وأحلى من معاطاة السكؤ ووس
 معاطاة الصفايح والعوالى وإقحامى خميسا فى خميس
 فتوتى فى الوغى أربى لأنى رأيت الموت فى أرب النفوس
 ولو سقيتها ييدى كريم أسر به لكان أبا ضبيس

وهو ينادم إخوانه إذا شربوا الخمر فيشرب كأساً من الماء ، فقد قال له
 بعض بنى كلاب : أشرب هذه الكأس سروراً بك ، فأجابه بقوله :

إذا ما شربت الخمر صرفاً منها شربنا الذى من مثله شرب السكرم
 ألا حبذا قوم نداهم القنا يسقونها ربا وساقيم العزم

ومد إنسان له يده بكأس من الخمر وحلف بالطلاق ليشربها ، فقال :

وأخ نسا بعث الطلاق آية لأعلان بهذه الخراطوم
 فجعلت ردى عرسه كفارة عن شربها وشربت غير أثيم

وهذه إحدى المرات التى شرب فيها الخمر ، ولم يصب حكم الشريعة فى قوله
 « وشربت غير أثيم » ولكنها إحدى نظرفات الشعراء . ولعلها مع ذلك تدل
 على أن امتناعه عن الشرب فى غير هذه المرة لمخافة الإثم .

أخلاق أبي الطيب

سنتكلم في هذه العجالة على أربع خلال كان لها أثر ظاهر في حياة أبي الطيب وأخباره وشعره ، وهي : الشجاعة ، والكبر ، والبخل ، والغندر .
فأما شجاعته فهي أظهر من أن تلمس لها الشواهد ، فهو شجاع يحسن شوقاً إلى لقاء العدا ، ويستصغر المخاطر في هذه السبيل ، ويستهن بما يكابده من أهوال ، ولقد كان مسوقاً إلى اقتحام الردى ، تدفعه إليه نفسه المتوثبة الطامحة ، وتغريه به آماله الجسام التي يحرص على إدراكها الحرص كله ، والتي يعتقد أن الوسيلة إليها هي التضحية وبذل النفس ، وقد كانت فيه مع ذلك عجلة تشبه الرعونة نبتت فيه من تلمفه على بلوغ الغاية التي يصبو إليها ، حتى كان يخشى أن يعجل إليه الموت قبل بلوغها ، انظر إليه وهو يحدثك عن المجد الذي يتطلع إليه ، ويشير إلى أن الحياة أضيق من أن تتسع لا تتظاره :

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها ففترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقا وفينة فما المجد إلا السيف والفتكة البسك
وتضرب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر والجمر
وتركك في الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء أنمله الشعر
ثم انظر إليه كيف يحدثك عن مطلبه ويصف لك أن إدراكه بعيد ، ويحضك على ألا تبالي بما تلقاه في حياتك من الشدائد والمحن :

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يدركه من نفسه الزمن
لا تلق دهرك إلا غير مكترث مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يدوم سرور ماسررت به ولا يرد عليك الفائق الحزن
ثم انظر إليه وهو يدلك على أن هناة العيش وسعته وطيب الحياة وسائر مافي الدنيا من متاع أمور لا تدرك إلا بحمد السيف :
وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي أرتك احمرار الموت في مدرج النمل

وتراه لا يترك الحديث عن آماله وشجاعته ، حتى في المواقف التي لا يحسن فيها
الفخر . ولقد كان مما اشتهر به شعره أنه يتحدث عن نفسه أثناء المديح والرثاء
استمع إليه وهو يقول لكافور :

فأرم بي حيثما أردت فإني أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كان لسانى يرى من الشعراء
وهو مفتون بذلك منذ صباه ، ولا عجب في ذلك فإن كثيرا من الناس
تولد معهم الآمال في طراة السن وميعة الشباب ، وعصر أبى الطيب الصاحب
الملء بحوادث الانقلاب خليق بأن يشير في نفسه لواعج الآمال .
فيل له وهو صبي : ما أحسن وفرتك ! فأجاب :

لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال
على فتي محتقيل مصحبة يطايا من كل وافي السبال

فأما الكبير فقد كان أبو الطيب متكبرا تياها صلفا : يرى أن لا أحد
مثله ، وأن أعلم أهل زمانه قدم وأحزمهم وغد ، وأن كل ما خلق وما لم يخلق
حقير إلى جانب عظمته كشعرة في مفرقة . ولقد كان من آثار كبره أن ترفع
عن مدح الوزير المهلبى والصاحب بن عباد ، وحدثته نفسه أن يتأبى على عضد
الدولة ، ولولا أن ابن العميد زين له الذهاب إليه وأغراه بما سيناله لديه من
التكرمة والمال لكان قد امتنع . ولقد جر على نفسه بهذا الترفع عداوة
الوزير والصاحب . وعداوة أشياعهما من الشعراء والكتاب والعلماء : فأما
الوزير فقد أغرى به شعراء العراق يزدرونه وينالون من عرضه ويبالغون
في هجائه ، وأغرى به جماعة من العلماء - منهم أبو الفرج صاحب كتاب الأغاني -
يتعقبونه ويشهرون به ، وأما الصاحب فلم يسكت عنه علمه بمحاسنه وكثرة

ما كان ينشفع بمعانيه ، عن أن يعد عليه سقطاته ، ويغرى به المترددين عليه
الطامعين في عطاياه ، وما أكثر هؤلاء .

ونحب أن ندل هنا على أمرين : الأول : أن آثار كبر أبي الطيب وترفعه
لم تظهر جليلة واضحة إلا بعد أن اتصل بسيف الدولة ونبه شأنه ؛ فأنت تراه
قبل ذلك يمدح قوما لا نباهة لهم ولا ذكر ، وتراه يمدح على أتفه العطايا .
وقد تنبه إلى ذلك أبو منصور الشعالي ، فهو يقول : « وكان قبل اتصاله بسيف
الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصطاد ما بين السكركي والمندليب » اهـ .
وأبو الطيب معذور في ذلك ، فإن سيف الدولة قد غمره بعطاياه حتى درت
له أخلاف الدنيا ، ولقى في جواره من السكرامة ما شجا حاسديه ؛ فكان
خليقا أن يقول فيه :

تركت السرى خلفي لمن قل مانه وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا
وقيدت نفسي في هواك محبة ومن وجد الإسمان قييدا تقيدا

الأمر الثاني : أنه قد اختلط على بعض الناس كثير من مواقف أبي الطيب
فاعتبروها كبرا أو تكبرا ، وليست هي من السكر في شيء ، وإنما هي عزة
النفس والاحتفاظ بالسكرامة ، وتقدير المرء نفسه ، وإكرامه إياها ، وكل
أولئك من السكر بالمكان النائي البعيد ؛ فليس لأحد أن يزعم أن من السكر
إنشاد أبي الطيب سيف الدولة وهو جالس واشترطه عليه ألا يقبل الأرض
بين يديه ؛ إلا أن يكون ممن تختلط الأخلاق في أنظارهم فيرونها بغير المنظار
الذي يراها به الناس ، وعسيت أن تسأل بعد ذلك أين ذهبت عزة نفسه حين
أنشد كافورا وهو واقف ؟ والجواب على ذلك أن ننهبك إلى أنه فارق سيف
الدولة حانقا متبرما ، ففعل وقوفه بين يدي كافور وهو من أعداء سيف
الدولة ليشير غيظه ، أو لعله أراد به مصانعة كافور لينال منه الذي وفد عليه من

أجله ، على أنه — وإن كان قد ترك معه ما جرت به عادته مع سيف الدولة —
قد اتخذ لعزته لوفا آخر ؛ فقد كان يقف بين يديه وفي رجليه خفان وفي
وسطه سيفه ومنطقته .

• • •

فأما البخل فقد رماه الناس به ، وحكوا في ذلك عنه أنه حضر له مال
من صلات سيف الدولة وصب بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن
وأعيد في السكيس ، وإذا قطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت
الحصير ، فأكب عليها ينقرها ويعالج استنقاذا ، ويشغل بذلك عن جلسائه ،
حتى إذا ظهر له بعضها تمثل بقول قيس بن الخطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ولم يزل كذلك حتى استخرجها ، وأمر بإعادتها إلى مكانها من السكيس .
وعجيب أن يكون بخيلا ذلك الذي يقول :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي صنع الفقر

ولكنهم يروون عنه أنه قال : « إني وجدت الناس لا يكرمون أحدا
إلا كرامتهم من يحتقدون أنه يملك مائة ألف دينار ، فاعتمدت أن يكون
عندي مثلها ؛ فأنا أجد في ذلك حتى يقول الناس : إن أبا الطيب قد ملك
مائة ألف دينار ، اه . وإن يكن القوم صادقين وكان لأبي الطيب عذر
في حرصه على المال وفي ضنه أن تضيع منه قطعة كأصغر ما يكون ، فليس
هو هذا العذر الذي تسبوه إليه ؛ وإنما عذره أن باوغ منازل المجد الذي كانت
تفسمه تحذره به في حاجة إلى المال ؛ وهذه إشارة نجتري بها في هذا الموضوع

• • •

فأما الغدر فأتيته أنك تراه كل يوم بين يدي ملك أو وزير ، وتراه كلما
وقف بين يدي واحد منهم يمدحه بأنه أكرم الناس ، وأشجع الناس ، وخير
الناس ، وقد يتجاوز ذلك إلى التعريض بمن مدحه من قبل ، وقد يتجاوز
التعريض والتوايح إلى التصريح ، ثم قد يتجاوز ذلك كله إلى الهجاء :

اسمع إليه يقول لسيف الدولة :

وحاشا لارتياحك أن يبارى وللكرم الذي لك أن يباقي
ولسكنا نداعب منك . قرما تراجعت القروم له حقاقا
فإنه لم يكتف بأن جعل ارتياحه للبذل لا يباريه ارتياح ، وكرمه
لا يطاوله في البقاء كرم ، حتى جعله سيد الفخلا وجعل الناس في موازنته
حقاقا .

فلما وفد على كافور كان في أول قصيدة قالها له قوله :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
ثم يقول بعد ذلك في شأن سيف الدولة :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللب
جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفقكم حتى يعاقبه التغيص والمنن
فغادر الهجر ما بيني وبينكم يهماء تكذب فيها العين والأذن
وكان كلما نازعته نفسه إلى سيف الدولة واستشعر شيئا من الأسف
على فراقه يعمل نفسه بأنه لقي أهلا بأهل ؛ فيقول :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تمل على فأكذب
إذا ترك الإنسان أهلا وراءه ويمم كافورا فما يتغرب

ولسكنه ما عثم أن اجتوى كافورا ، وتبرم به ، ويئس مما كان أمله فيه ، فلما
اعتزم أن يتركه أسف على غدره ، ونازعته نفسه إلى ممدوحه الأول ، فقال
وهو يهجو كافورا :

وفارقت خير الناس قاصد شرهم وأكرمهم طرا لألامهم طرا
فعاقبني المخصى بالغدر جازيا لأن رحيلي كان عن حلب غدرا
وما كنت إلا فائل الرأى لم أعن بحزم ولا استصحبته في وجهتي حجرا
ومع أنه يعترف بالغدر فقد حانت له فرصة أن يعود إلى الوفاء فلم
يهتبلها ، تلك أن سيف الدولة حين علم رجوعه من مصر أرسل إليه ابنه بهدية
فاكتفى بأن يرسل إليه قصيدة يقول فيها :

كلما رحبت بنا الروض قلنا حلب قصدنا وأنت التميل
فيك مرعى جبادنا والمطايا وإليها وجيفنا والذميل
والمسمون بالأمير كثير والامير الذي بها المأمول
الذي زلت عنه شرقا وغربا ونداء مقابلي ما يزول
ومعنى أينما سلكت كائن كل وجه له بوجهي كفيل
ويعر بعد ذلك عامان وبضعة أشهر فيرسل إليه سيف الدولة كتابا بخطه
يسأله فيه المسير إليه ، فيعتمر له بقوله :

وما عاقني غير خوف الوشاة وأن الوشايات طرق السكذب
وتكثير قوم وتقليلهم وتقريرهم بيننا والخبب
وقد عاوده طبعه الذي دللنا عليه حين ورد على عضد الدولة ، فقد قال
له في أول لقاء :

وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها
ثم يقول له بعد ذلك :

يقول بشعب بوان حصصاني أعن هذا يسار إلى الطعان
 أبوكم آدم سن المعاصي وعلمتكم مفارقة الجنان
 فقلت : إذا رأيت أبا شجاع ساوت عن العباد وذا المكان
 فإن الناس والدنيا طريق إلى من ماله في الناس ثان
 لقد علمت نفسي القول فيهم كتعليم الطراد بلا سنان
 وانظر إلى هذا البيت الأخير فإنه يعتذر فيه عن كل مدائح التي قالها من
 قبل عضد الدولة ، بأنه كان يقولها ليروض نفسه ويعلمها ، حتى إذا اعتادت لم
 يحسن منه القول إلا فيه .

تذييله

ليس في حياة أبي الطيب مسألة أشد غموضاً من سر هذا اللقب الذي
 تهزوه به ، ومهما يكن في حياته من الدقة والغموض فإننا نعتزف بشدة الدقة
 والغموض اللذين أحاطا بهذا اللقب ، وآية ذلك أن الكتاب مازالوا يكتبون
 عن أبي الطيب - منذ كان إلى يوم الناس هذا - وهم يختلفون في الإبانة عن
 هذا اللقب ، وكتاب عصرنا هذا مختلفون أيضاً في الاستنتاج والتعليل ، ولقد
 حاولت أن أقف على الوضع الحقيقي لهذه المسألة متخذاً من شعره وأخباره
 نبراساً أستضيء به ، فأعيايت تطلابه ، ووقعت في حيرة ولبس هما شر من
 الإعراض عنه ، ذلك أنه لم يعن أحد من عاصر المتنبي أو قرب من عصره
 بالبحث عما يشوقنا اليوم أن نعرفه ، بحثاً يشلج صدر الحقيقة ، ويملاً قلب الناس
 يقيناً بصحة أسبابه ونتائجه ، فكل ما بين أيدينا كلمات مشورة في بطون
 الكتب جرى بعضها على ألسنة قوم عرفوا بالهوى فيه والتعصب له إلى حد
 التغاضي عن القبيح ، وجرى بعضها الآخر على لسان قوم لم يعرف الناس
 عنهم شيئاً أو عرفوا عنهم الكراهية له إلى حد تشويه محاسنه . فهمة الباحث

اليوم من أشق ما يتصوره عقل . وكل ما يمكن أن يصل إليه باحث ظنون
قد لا يطول به الأمد حتى تتكشف له عن نفسها كخدعة من خدع الغرور .
حكى أبو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت المتنبي يقول : إنما لقيت
بالمُتنبي لقولي :

أنا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدا وغيط الحسود
أنا في أمة تداركها الله غرب كصالح في ثمود
وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود
وليس هذا الذى ذكره أبو الفتح إلا كالتحولات التى يرتكبها بعض
الناس بإخراج الألفاظ عن أوضاعها ومعانيها ، ذلك بأن أبا الطيب نفسه
كان يتألم إذا نبزوه بهذا اللقب ، فهو يعلم حق العلم أن الناس لا يطلقون عليه
ذلك تشبيها له بالأنبياء ، وإن كانت هذه الصيغة قد تستعمل فى العربية لإفادة
معنى التشبيه .

وذكر أبو العلاء فى رسالة الغفران ما كان أعداء أبي الطيب
يتحدثون به عنه ، فقال : « وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه أنه لما حصل
فى بنى عدى وحاول أن يخرج فيهم قالوا له وقد تبنينا دعواه : ها هنا ناقة
صعبة فإن قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل . وأنه على مضى إلى تلك
الناقة وهى راكحة فى الإبل فتحيل حتى وثب على ظهرها ، فنفرت ساعة وتنكرت
برهة ، ثم سكن نفارها ومشى مشى المسمحة ، وأنه ورد بها المحلة وهو راكب
عليها ، فمجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .
وحدثت أيضاً أنه كان فى ديوان اللادقية ، وأن بعض الكتاب انقلبت على
يده سكين فجرحته جرحاً مفرطاً ، وأن أبا الطيب تفنن عليها من ريقه وشده

عليها غير منتظر ، وقال للهجروح : لا تحملها في يومك ، وعد له أياماً وليالي .
وأن ذلك السكائب قبل منه فبرى الجرح . فصاروا يعتقدون في أبي الطيب
أعظم اعتقاد ، ويقولون : هو كمحي الأموات . وحدث رجل كان أبو
الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية — أو في غيرها من السواحل — أنه أراد
الانتقال من موضع إلى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما
كلب ألح عليهما في النباح . ثم انصرف ، فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو
عائد : إنك ستجد ذلك السكيب قد مات ، فلما عاد الرجل ألفى الأمر على
ما ذكر . ولا يمتنع أن يكون أعد له شيئاً من المطاعم مسموماً وألقاه له
وهو يخفي عن صاحبه ما فعل « اه

وقال أبو العلاء في رسالة الغفران مرة أخرى : « وحدث أنه كان إذا
سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة بمعنى المرتفع عن الأرض .
وكان قد طمع في شيء طمع فيه من هو دونه ، وإنما هي مقادير ، يدبرها في
العلو مدير ، يظفر بها من وثق ، ولا يراع بالمجتهد أن يخفق . وقد دلت أشياء
في ديوانه أنه كان متألماً ، ومثل غيره من الناس متدلماً ، فمن ذلك قوله :

ولا قابلاً إلا لحالقه حكماً

وقوله :

ما أقدر الله أن يجزى بريته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

وإذا رجع إلى الحقائق ، فنطق اللسان ، لا ينبىء عن اعتقاد الجنان ، لأن
العالم مجبول على الكذب والنفاق ، ويحتمل أن يظهر الرجل تديناً ، وإنما يجعل
ذلك تزينا ، يريد أن يصل به إلى ثناء ، أو غرض من أغراض الخالصة
أم الفناء « اه .

وأبو العلاء في هذه العبارات مضطرب كل الاضطراب ، فبينما هو يقص

عليك معجزات أبي الطيب التي مخرق بها على بني عدى ، إذا هو يذكر لك أنه إنما طمع فيما طمع فيه من هو دونه بعد همة وعلو نفس ، ولا يمكن أن يكون مقصوده بذلك النبوة ، ثم هو بعد ذلك يعود فيذكر أن أبا الطيب كان يعترف بالله تعالى ، ويرشدك إلى دلائل هذه العقيدة من شعره ، ويعود إلى التشكيك في دلالة هذه الأقوال على مافى نفسه ، لأن نطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الجنان ، وكأن أبا العلاء كان يعاني ما نعانيه اليوم من غموض حال المتنبي وشدة خفاءها .

والذي نستطيع أن نعقله أن هذا اللقب قد نبزه به أعداؤه ، وليس له حقيقة برزت في الوجود ، وأن أبا الطيب كان يقوم بدعوة سياسية : كان يطلب الملك ويمنى نفسه به ، ويعد له عدته التي ظن أنها تصل به إليه : من المراتب على الحرب ، وجمع المال ، والاستكثار من الأعوان ، وتدير المؤامرات ، ولم يكن يحسر على الجهر بذلك في عواصم الملك التي عاش فيها . فكان يخرج إلى البوادي يتحين الفرصة ويستجمع للوثوب وتحقيق مافى نفسه من آمال ، وهذا سر من أسرار انتقاله من ملك إلى ملك ، وقد ساعده على هذا الحلم اللذيذ ما كان يقع تحت نظره كل يوم من ثورات وقتل وانقلاب ، وقوة إيمانه بأنه أفضل من سعت به قدم ، وكان ربما قنع بأقل من الملك فرغب في ولاية من الولايات يخلعها عليه كافور ، ولعل هذه القناعة لم تسكن إلا لأنه قهم أن الولاية سبب يصل من طريقه إلى الملك كالذي كان يراه في جماعة من ملوك عصره ، ولعل كافورا لم تخف عليه سريرته فخرمه الولاية التي كان وعدده إياها ، ولعله هو نفسه قد شعر بأن كافورا فطن لدخيلة نفسه فقر من مصر تحت جنح الليل ، أفلاست تراه يقول لكافور أول وروده عليه :

وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقيين واليا

حتى إذا تأخر عنه جواب كافور ، وخشى أن يفوته المأمول ، أو أن
يظن به عدم الكفاية للاضطلاع بأعباء الولاية ، عاوده بقوله :

فأرم بي حيثما أردت فإني أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كان لسانى يرى من الشعراء

ولم يزل يظهر لكافور تليفه على إنجاز موعوده ، بالتعريض مرة
وبالتصريح مرة أخرى ، حتى أدركه اليأس ، وعلم أن فى الأمر شيئاً ، انظر
إلى قوله :

إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوفى وشغلك يسلب
ثم انظر الى قوله :

وهل نافعى أن ترفع الحجب بيننا ودون الذى أملت منك حجاب
وفى النفس حاجات وفيك فطاة سكوتى يسان عندها وخطاب

قال أبو منصور الثعالبي : « وما زال فى برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه
وتضاعفت عقود عمره ، يدور حب الولاية والرياسة فى رأسه ، ويظهر
ما يضر من كامن وسواسه ، فى الخروج على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ،
والاستيلاء على بعض الأطراف ، ويستكثر من التصريح بذلك فى مثل قوله

لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لأتركن وجوه الخيل ساهمة والحرب أقوم من ساق على قدم

وكقوله :

سأطلب حتى بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما الشموا حرد
نقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا

وطعن كأن الطعن لا طعن بعده وضرب كأن النار من حره برد
إذا شئت حفت بي على كل ساج رجال كأن الموت في فمها شهد
« وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعد من آماله . ويمشي في مناكب
الأرض ، ويطوى المناهل والمراحل ، ولا زاد إلا من ضرب الحراب ، على
صفحة المحراب » اهـ

هذه فيما نعتقد حقيقة حاله . فأما ادعاء النبوة فلا نستطيع أن نتقبله مهما
زعم الناس أن العصر الذي عاش فيه ، ورغبته في أن يكون أبعد أهل عصره
أملاً ، وكثرة الدعوات الدينية والسياسية ، كل أولئك تقرب إلى العقل أنه
ادعى النبوة ، نقول ذلك بعد علمنا بتقدير الناس لمقام النبوة ورسوخ عقيدة
الإسلام في أذهانهم ، ومنها أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ختام الأنبياء ،
حتى إن الدعوات الدينية التي ادعاهها المدعون بعد ذلك لم تكن إلا
في نواحي الإمامة وما يتصل بها ، إلا أن يكون المدعى قد أصابه مس من
الشيطان فغلب على عقله .

ونحن نرى كل هذه الدعوات كانت تستند إلى نصوص يزعم الراوون
لها أنها صدرت عن رسول الله ، أو أفهام في نصوص أخرى ثابتة ، ولو
أن أبا الطيب كان قد ادعى النبوة لما وجد من الناس من ينتظر عليه حتى يتم
دعواه ، ولعله لم يكن من الحكمة في دعواه التي ارتضيها أمرها بحيث يخفى شأنه
فكان لذلك لا يأمن جانب أحسد ، وكان لا يدخل بلداً إلا لتقذف به إلى
بلد ، ثم كانت بعد ذلك نهايته المحتومة .

أبو الطيب والنحاة

ليس يسوغ لي في مشتهل هذا البحث أن أغفل أن أبا الطيب كان قد
أخذ من العربية بأوفر حظ ، فهو حافظ لغربها حفظ الباحث المستقصي حتى

ليسأله أبو على الفارسي : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ؟ فيسأله بقوله :
 حبلى وظربى ، ويبحث أبو على ليلته فى كتب اللغة لعله يعثر لهما على ثالث
 فلا يجد ، ويقول أبو على فى شأنه : « ما رأيت رجلا فى معناه مثله » وهذه
 الشهادة من أبى على الذى كان يناصبه العداوة ويتحامل عليه كافية للدلالة على
 قدره . وكان مع اطلاعه على مفردات اللغة وغريبها عالما بمواطن استعمالها .
 متمكنا من قواعدها . خيرا بلغات القبائل ، وله شعر جزل لا نظيره فى شعر
 أحد من شعراء العربية : وقد خلا كثير من شعره من كل مأخذ ، وتجنب كل
 انتقاد ، ولكن له مع ذلك شعرا قد جانب الطرق المشهورة فى العربية إلى
 طرق لا يقرها النحاة الذين جعلوا مهمتهم تتبع المعروف الجارى على الألسنة ،
 ورسموه قواعد أرادوا أن تكون هى لسان الناس عامة . وإن يكن أحد قد
 نال من أبى الطيب فى حياته وبعد موته منالاه وجه صحيح وقد بق أثره والدليل
 عليه ، فأولئك هم النحاة . ولسنا نعى بالنحاة علماء الإعراب فحسب ، وإنما
 نريد بهم كل من كان يتكلم فى فرع من فروع العربية ، فهو لاء هم الذين كان
 أبو الطيب يضيق بهم ذرعا وتألم نفسه إذا وجه واحد منهم خطابه إليه :
 وكيف لا يضيق صدره وشعره هو وسيلته التى يكتسب بها رضا الناس
 وهم يعمدون إلى هذه الوسيلة فيضعفون من شأنها ويحاولون أن يقتلوا من
 قيمتها ؟ ولم يكن النحاة فيما نعتقد قدأكثرأوا من تعقبه والحنطة عليه لوجه العلم
 ولا انتصارا للحق ، وإنما كان ذاك منهم سلاحا من أسلحة السياسة التى
 وجهت إلى الرجل ، وليس يعنينا بحث ذلك الآن ، ولكننا نذكر أنه —
 مع عدم توافر حسن النية — قد أمكن للنحاة أن يجدوا فى شعر أبى الطيب
 ما يستمسكون به عليه ، ويتخذونه ذريعة للتشفى منه ولإرضاء سادتهم ، وكانوا
 يجبهونه بذلك أحيانا ، وكان تأخذ العزة فيسب ويقدح فى سبابه أحيانا
 شأن المغيظ المحقق الذى يداخله الشك فى أمرهم ، وكان ربما ضن عليهم
 بالإجابة فأحالهم على بعض أصدقائه من النحاة . حدثوا أن ابن خالويه وجه

إلى أبي الطيب نقداً في حضرة سيف الدولة فقال له أبو الطيب : اسكت
ويحك فإنك أعجمي فمالك وللعربية ! وكان مع ابن خالويه مفتاح فضربه به
فشج رأسه وحدثوا أن سائلاً سأله عن قوله في مطالع قصيدة مدح بها أبا
الفضل بن العميد :

بادهواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك أن لم يجر أو أجرى
فقال له : كيف قلت لم تصبرا ؟ فقال : لو كان أبو الفتح حاضراً لأجاب .
يريد أبا الفتح عثمان بن جني وكان صديقاً حميماً له .
وبعض المأخذ التي أخذها عليه النحاة تافه : أو لا وجه له ، كالذي
حدثوا أن ابن خالويه سمعه يثمد سيف الدولة :

وفأوكا كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدع أشفاد طاسمه
فقال له : يا أبا الطيب ، إنما يقال شجاع ، يتوهمه فعلاً ماضياً ، فقال له أبو الطيب :
اسكت فما وصل الأمر إليك ، يعني أنه أفعل تفضيل
وبعض المأخذ التي أخذوها عليه صحيح لا شبهة في أنه أخطأ فيه الجادة
كالتعقيد اللفظي والمعنوي ، واستعمال الغريب الوحشي ، والعدول عن سنن
القياس ، وقبح بعض المطالع وبعض المقاطع ، واستعمال اللغات المهجورة
وأمثلة ذلك كله ميسورة قريبة التناول .

وفي كتب علماء البلاغة أمثلة وشواهد كثيرة من شعر المتنبي يعدون
بعضها في عيون الشعر ومحاسنه . ويعتدون بعضها الآخر في رذيل الشعر
ومستكرهه .

أما علماء الإعراب فقد جروا على قاعدتهم - في عدم الاحتجاج بشعر
المولدين - مع أبي الطيب ، ولكن كثيراً منهم يذكر أبياتاً من شعره في موطن
من ثلاثة مواطن : موطن التمثيل لا الاستشهاد . وموطن مخالفة القياس .
وموطن التطبيق وذلك في المعقد من شعره . وقد ذكر العلامة رضى الدين

في شرح الكافية بعض أبيات المتنبي على أنها مخالفة للقياس ، وللمعلامة المحقق جمال الدين بن هشام صاحب مغني اللبيب ولأبي السعادات بن الشحري في أماليه شروح وتخریجات لأبيات كثيرة من معقد أبي الطيب ، وقد كان لأبي الفتح عثمان بن جني صديق المتنبي اليد الطولى في توجيه أنظارهما إلى هذه الناحية بما بذله من جهد في تخریج شعر المتنبي . حتى كان أبو الطيب نفسه يقول له : « إني لم أقل هذا الشعر لهؤلاء النحاة . وإنما أقوله لك » .

كتبه

المعتز بالله تعالى : أبو رجاء

محمد نخعي الدين عبد الحميد

ابو الطيب المشبي

أبو الطيب المتنبي ، وماله وما عليه *

هو - وإن كان كوفي المولد - شامى المنشأ ، وبها تخرج ، ومنها خرج .
 نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر ، فى صناعة الشعر ، ثم هو شاعر
 سيف الدولة المنسوب إليه ، المشهور به ، إذ هو الذى جذب بضبعه^(١) ، ورفع
 من قدره ، ونفق سعر شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره
 مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه فى البدو والحضر ، وكادت الليالى تنشده ،
 والأيام تحفظه ، كما قال وأحسن ما شاء [من الطويل] :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
 فسار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يغنى مغبردا
 وكما قال [من المتقارب] :

ولى فيك ما لم يقل قائل وما لم يسر قمر حيث سارا
 وعندى لك الشرد السائر ت لا يختصن من الأرض دارا
 إذا سرن من مقول مرة وثبن الجبال وخضن البحارا
 هذا من أحسن ما قيل فى وصف الشعر السائر ، وأبلغ منه قول على بن
 الجهم حيث قال [من الطويل] :

ولكن إحسان الخليفة جعفر دعانى إلى ما قلت فيه من الشعر

* اقرأ ترجمة أبى الطيب فى وفيات الأعيان لابن خلكان (١/٦٢ النيل)
 وفى المنتظم لابن الجوزى (٦/١٤ - ٢٠) وفى ما لا يحصى من المراجع .
 (١) كناية عن أنه رفعه وأعلى قدره ، وفى معناه قول العامة فى ديار
 مصر « أخذ بيده » .

فسار مسير الشمس في كل بلدة وهب هبوب الريح في البر والبحر
 فليس اليوم مجالس الدرس ، أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس .
 ولا أقلام كتاب الرسائل ، أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل ، ولا لحون
 المغنين والقوالين ، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين ، وقد ألقت
 السكتب في تفسيره ، وحل مشكله ونويصه ، وكسرت الدفاتر على ذكر جيده
 ورديته . وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن
 أبكار كلامه وعونه (١) . وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والنضح عنه (٢) ،
 والتعصب له وعليه . وذلك أول دليل دل على وفور فضله ، وتقديم قدمه ،
 وتفردته عن أهل زمانه ، بملك رقاب القوافي ، ورق المعاني ، فالكامل من
 عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته ، وما زالت الأملاك تهجى وتمدح .
 وأنا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقايجه ، وما يرتضى وما يستهجن
 من مذاهبه في الشعر وطرائقه . وتفصيل الكلام في نقد شعره ، والتنبية على
 عيونه وعيوبه ، والإشارة إلى غرره وعرره ، وترتيب المختار من قلائده
 وبدائعه ، بعد الأخذ بطرف من طرق أخباره ومتصرفات أحواله ، وما
 تسكرت فوائده وتحلو ثمرته ، ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب السكتاب
 كتميزه عن أصحابها بعلو الشأن ، في شعر الزمان ، والقبول التام ، عند أكثر
 الخاص والعام .

ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كعدة^(٣) سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأن أباه

(١) العون - بضم العين - جمع عوان ، وهي النصف من النساء ، وفي
 القرآن (عوان بين ذلك) .

(٢) النضح عنه : أراد الدفاع عنه .

(٣) كعدة : محلة بالكوفة ، وإليها ينسب فيقال « الكندي »

سافر إلى بلاد الشام ، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها . ومن مدرها إلى وبرها ، ويسلمه في المكاتب ، ويردده في القبائل . ومخايله نواطق الحسنى عنه . وضوا من النجاح فيه ، حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع . وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوما من رائيى نبله (١) ، على الحدائث من سنه وانفضاضه من عوده ، وحين كناد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والى البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج . فأمر بحبسهم وتقييدهم ، وهو القائل في الحبس قصيدته التى أولها [من المتقارب] :

أيا خدد الله ورد الحدود وقد قدود الحسان القدود

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتوصل مما قذف به :

أمالك رقى ، ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجا ، والموت منى كجبل الوريد
دهوتك لما برانى البلى وأوهن رجلى ثقل الحديد

ومنها :

وقد كان مشييهما فى النعال فقد صار مشييهما فى القيود
وكنت من الناس فى محفل فيها أنا فى محفل من قرود
تعجل فى وجوب الحدود وتحدى قبل وجوب السجود
أى : إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب على الصلاة بعد ، ويجوز أن يكون قد صغر سنه وأمر نفسه عند الوالى ، لأن من كان صبياً لم يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف

(١) دعا إلى بيعته : يريد أنه طلب الملك ، وهذا هو ما نهتقده فى أبى الطيب أما ادعاء النبوة فاما أن يكون اختلاقا علمية وهو الغالب ، وإما أن يكون مخارقة منه وازدراء بالناس ، ورائى نبله : كناية عن يقوى بهم ساعده . تقول : راش النبل يريشه ، إذا لز فيه الريش ليقوى .

ومن شعره في الحبس ما كتب به إلى صديق له قد كان أنفذ إليه مبرة
[من المنسرح] :

أهون بطول الثواء والتلف والسجن والقيد ، يا أبا دلف
غير اختيار قبلت برك بن والجوع يرضى الأسود بالجيف
يشبه قول أبي عينة [من مخرج البسيط] :
ما أنت إلا كلحم ميت دعا لي إلى أكله اضطرار

(رجع)

كن أيها السجن كيف شئت فقد وطنت للهوت نفس معترف
لو كان سكناي فيك منقصة لم يكن الدرسا كن الصدف
وينحكي أنه تنبأ في صباه ، وفتن شزيمة بقوة أدبه ، وحسن كلامه . وحكى
أبو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقبت بالمتنبي لقولي
[من الخفيف] :

أنا رب الندى ورب القوافي وسمام العدا وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها إلا غريب كصالح في ثمود
وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامى بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود
وما زال في برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ،
يندور حب الولاية والرياسة في راسه ، ويظهر ما يضممر من كامن وسواسه ،
في الخروج على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض
الأطراف ، ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله [من البسيط] :

لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أقجم حتى لات مقتحم
لأتركن وجوه الخيل ساهمة والحرب أقوم من ساق على قدم
(٣ - المتنبي)

[والطعن يحرقها والزجر يقلقها
قد كلمتها العوالى فهى كالحة
بكل منصلت مازال منتظرى
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة
وقوله [من الطويل] :

سأطلب حتى بالقنا ومشايخ
ثقال إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا
وطعن كأن الطعن لا طعن بعده
إذا شئت حفت بي على كل ساج
وقوله [من الطويل] :

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة
وتضريب أعناق الملوك ، وأن ترى
وتركك فى الدنيا دويماً كأنما
وقوله [من البسيط] :

وإن عمرت جعلت الحرب والدة
بكل أشعث يلقي الموت مبتسماً
قح يكاد صهيل الخيل يقذفه
الموت أعزلى ، والصبر أجمل بي ،
والسمهرى أخا ، والمشرقى أبا
حتى كأن له فى قتله أربا
من سرجه مرحاً للعز أو طربا
والبر أوسع ، والدنيا لمن غلبا
وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعد من آماله ، ويمشى فى مناكب
الأرض ، ويطوى المناهل والمراحل ، ولا زاد إلا من ضرب الحراب ، على

صفحة المحراب (١) . ولا مطية إلا الخف أو النعل ، كما قال [من المنسرح] :

لا ناقي تقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ، ومشفرها زمامها ، وأشموع عقودها

وإنما ألم في هذا المعنى بأبي نواس في قوله [من الطويل] :

إليك أبا العباس من بين من مشي عليها امتطينا الحضرمي الملسنا (٢)
قلأئص لم تعرف حيناً على طالا ولم تدر ما قرع الفنيق ولا الهنا (٣)

وكما قال في شكوى الدهر ووصف الخف [من الكامل] :

أظمتني الدنيا فلها جئتها مستسقياً مطرت على مصائبها (٤)
وحبيت من خوص الركاب بأسود من دارش فغدوت أمشي راكباً

وكما قال في الاعتداد بالرحلة ، والقدرة على الرحلة [من المنسرح] :

ومهمه جبسته على قدمي تعجز عنه العرامس الذال (٥)
[بصارمي مرتد ، بمخبرتي مجترى ، بالظلام معتمل] (٦)

(١) أراد بالمحراب ههنا العنق ، يريد أنه ينتهب الناس بعد ما يقتلهم .

(٢) أراد بالحضرمي الملسن النعل الذي يلبسه في رحله .

(٣) قلأئص : شئ في الأصم النوق الشواب ، والطلا ، هنا : الصغير من ولد الابل ، والفنيق : الفجل من خولة الابل ، والهنا : طلي الابل الجربي بالقطران ، وإذا كان هو إنما يريد نعله فإن النعل لا يعرف شيئاً من ذلك .

(٤) أظمتني : أصلمها أظماً تني - بالهمز - فسهل الهمزة فصارت ألفاً ، ثم حذفها كما تحذف الألف الأصلية

(٥) العرامس : النوق الشديدة ، والذال - بضمه - جمع ذلول ، وهو السهولة القياد .

(٦) هذا البيت ساقط من ب

إذا صديق نسكرت جانبه لم تعينى فى فراقه الخيل
 فى سعة الخافقين مضطرب وفى بلاد من أختها بدل
 وشتان ما بين حاله هذه والحال التى قال فيها [من البسيط] :
 وعرفاهم بأنى من مكارمه أقلب الطرف بين الخيل والخول
 وكان قبل اتصاله بسيف الدولة بمدح القريب والغريب . ويصطاد ما بين
 السكرى والعندليب .

ويحكى أن على بن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التى أولها
 [من الكامل] :
 بأبى الشموس الجانحات غواربا [اللابسات من الحرير جلايا]
 ومنها :

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان إلى منها تائباً
 إلا ديناراً واحداً ، فسميت الدينارية .
 ولما انخرط فى سلك سيف الدولة . ودرت له أخلاف الدنيا على يده :
 كان من قوله فيه [من الطويل] :

تركت السرى خلفى لمن قل ماله وأنعلت أفراسى بنعماك عسجداً
 وقيدت نفسى فى هواك محبة ومن وجد الإحسان قيذاً تقيداً
 وهذا البيت من قلائده . وإنما ألم فيه بقول أبى تمام [من الكامل] :
 همى معلقة عليك رقابها مغلوطة ، إن الوفاء إيسار
 ولكنه أخذ عباءة وردھا ديباجا ، وأرسلها مثلاً سائراً ، وكرر هذا المعنى
 فزاد فيه حتى كاد يفسده فى قوله [من الكامل] :

يا من يقتل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان

نبذ من أخباره

لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها [من البسيط] :
 أجاب دمعي وما الداعي سوى طلال دعا فلهاه قبل الركب والإبل
 وناولته نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة ، فلما انتهى إلى قوله :
 يا أيها المحسن المشكور من جهتي والشكر من جهة الإحسان ، لا قبلي
 [ما كان نومي إلا فوق معرفتي بأن رأيك لا يؤتي من الزلال]
 أقل أنل أقطع احمّل عل سل أعد زد هش بش تفضل أدن سر صل
 وقع تحت أقل : قد أقلناك ، وتحت أنل : يحمل إليه من الدراهم كذا ،
 وتحت أقطع : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب ، وتحت احمّل :
 بقاد إليه الفرس الفلاني . وتحت عل : قد فعلنا ، وتحت سل : قد فعلنا فاسل ،
 وتحت أعد : أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت زد : يزداد كذا ،
 وتحت تفضل : قد فعلنا ، وتحت أدن : قد أدنيناك ، وتحت سر : قد سررناك .
 وتحت صل : قد فعلنا .

قال ابن جني : فبلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السرية ، فأمر
 له بجارية .

قال : وحكي لي بعض إخواننا أن المعقلي — وهو شيخ كان بحضرته
 ظريف — قال له — وحسد المتنبي على ما أمر به — : يا مولاي قد فعلت
 به كل شيء سألته ، فإلا قلت له لما قال لك هش بش : هه هه هه ، يحكي
 الضحك ، فضحك سيف الدولة ، فقال له : ولك أيضاً ما تحب ، وأمر
 له بصلة .

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتابه « الوساطة » أن
 أبا الطيب نسب على منوال ديك الجن فقال [من الخفيف] :

احل وامرر وضر وانفع ولن واخ شن ورش وابر وانتدب للبعالي

وحكى ابن جني قال : حدثني أبو علي الحسين بن أحمد الصنوبري ، قال :
خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس
متلثم قد أهوى نحوي برمح طويل ، وسدده إلى صدرى ، فكدت أطرح
نفسى عن الدابة فرقا ، فلما قرب منى ثنى السنان وحسر لثامه^(١) ، فإذا المتنبي ،
وأنشدني [من الطويل] :

نثرنا رءوسا بالأحيدب منهم كما نثرت فوق العروس الدراهم
ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك ! قد
قتلتني يا رجل ، قال ابن جني : فكسيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي
الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا علي من التقريظ والثناء بما يقال
في مثله .

قال : وأنشدت أبا علي ليلاقصيدة أبي الطيب التي أولها [من البسيط] :

واحر قلباه من قلبه شبح^(٢) .

فلما وصلت إلى قوله فيها :

وشر ما قنصته راحتي قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم
أعجب جدآبه ، ولم يزل يستعيده ، حتى حفظه ، ومعناه : إذا تساويت ومن
لا قدر له في أخذ عطائك فأى فضل لى عليه ؟ وما كان من الفائدة كذا لم
أفرح به ، وإنما أفرح بأخذ ما تختص به الأفاضل

قال : وحدثني المتنبي قال : حدثني فلان الهاشمي من أهل حران بمصر

(١) حسر لثامه : أزاله عن وجهه ، فانكشف وجهه وظهر

(٢) شبح - بفتح الشين وكسر الباء - أراد به البارد لأنه لم يداخله الحب
فلم يحترق بناره

قال : أحدثك بطريفة ، كتبت إلى امرأتى وهى بحران كتابا تمثلت فيه ببيتك
[من البسيط] :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كائن ولا سكن ؟
فأجابتنى عن السكتاب ، وقالت : ما أنت والله كما ذكرته فى هذا البيت . بل
أنت كما قال الشاعر فى هذه القصيدة :

سهرت بعد رحيلي وحشة لكم ثم استمر مريرى وارعوى الوسن
قال : ولما سمع سيف الدولة البيت الذى يتلوه وهو قوله :
وإن بليت بود مثل ودكم فإنى بفراق مثله فمن
قال : سار وحق أبى

قال : ولما سمع قوله لفنا خسرو [من المنسرح] :
وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها
قال : ترى هل نحن فى الجملة ؟
سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : كان أبو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول
الشاعر [من الطويل] :

وإن أحق الناس باللوم شاعر يلوم على البخل الرجال ويبخل
وإنما أعرب عن عادته وطريقته فى قوله [من الطويل] :
بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه
فحضرت عنده يوماً بحلب وقد أحضر مالا من صلات سيف الدولة ، فصب
بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد فى كيس ، وإذا بقطعة
كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصير ، فأكب عليها بمجامعه
ينقرها ويعالج استنقاذاً منه ، ويشغل بذلك عن جلسائه حتى توصل إلى
إظهار بعضها ، فتمثل بيت قيس بن الخطيم [من الطويل] :

تدنت لنا كالشمس بين غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب
ثم استخرجها ، وأمر بإعادتها إلى إمكانها من السكيس ، وقال : إنها
تحضر المائدة
وسمعتة يقول : لما أنشد المتنبي عضد الدولة قصيدته فيه التي أولها
[من الوافر] :

✽ مغاني الشعب طيباً في المغاني ✽

وانتهى إلى قوله فيها

وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيرا تفر من البنان
قال له عضد الدولة : لأقرنها في يديك ، ثم فعل .

قال : ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد ، وترفع عن مدح المهلب
الوزير ، ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوكة ، شق ذلك على المهلب ، فأغرى به
شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه ، وتباروا في هجائه ، وفيهم ابن الحاجج
وابن سكرة [محمد بن عبد الله الزاهد] الهاشمي ، والحاتمي ، وأسمعوه ما يكره ،
وتماجنوا به ، وتنادروا عليه ، فلم يحجم ولم يفكر فيهم ، وقيل له في ذلك ،
فقال : إني فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء
[من الوافر] :

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمل الداء العضالا

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرأً به الماء الزلالا

وقولي [من الطويل] :

أفي كل يوم تحت ضنبي شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول^(١)

لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل

(١) الضنبن - بكسر الضاد وسكون الباء - ما بين الكشح والابط

وأُتعب من ناداك من لا تحييه وأُغِيط من عاداك من لا تشاكل
وما ألتيه طي فيهم غير أني بغيض إلى الجاهل المتعاقل (١)
وقولي [من الكامل] :

وإذا أأتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل
قال : وبلغ أبا الحسين بن لنسكك بالبصرة ما جرى على المتنبي من
وقية شعراء بغداد فيه ، واستحقارهم له ، وكان حاسدا له ، طاعنا عليه ،
هاجياً إياده ، زاعماً أن أباه كان سقاء بالكوفة فشمت به وقال [من البسيط] :

قولا لأهل زمان لا خلاق لهم ضلوا عن الرشدين جهل بهم وعموا
أعطيت المتنبي فوق منيته فزوجوه برغم أمهاتكم
لكن بغداد جاد الغيث ساكنها نعالهم في قفا السقاء تزدحم
قال : ومن قوله فيه [من الخفيف] :

متنيكم ابن سقاء كوفاً نويوحى من الكنيف إليه
كان من فيه يسلمح الشعر حتى سلحت ففحة الزمان عليه
ومن قوله أيضاً فيه [من المجتث] :

ما أوقع المتنبي فيما حكى وادعاه
أيح مالا عظيماً حتى أباح قفاه
ياسائل عن غناه من ذاك كان غناه
إن كان ذاك نياً فالجاثليق إله

ثم إن أبا الطيب المتنبي اتخذ الليل جملاً ، وفارق بغداد متوجهاً إلى حضرة

(١) طي - بكسر الطاء - عادتى أو خلقى ، ومنه قول فروة بن مسيك :

فما إن طبنا جنباً ولسكن مناينا ودولة آخرينا

أبي الفضل بن العميد مراغما للمهاجر الوزير . فورد أرجان ، وأحمد مودودي .
 فيحكى أن صاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان ، وإجرائه
 مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم
 يكن استوزر بعد . وكتب إليه يلاطفه في استدعائه ، وتضمن له مشاطرته
 جميع ماله ، فلم يقم له المتنبي وزنا ، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده ، وقصد
 حضرة عضد الدولة بشيراز ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمنية ، وورود
 مشرع المنية . واتخذ الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقعة ، ويتبع عليه
 سقطاته في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته ،
 وأحفظهم لها ، وأكثرهم استعمالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته .
 وكان مثله معه كما قال الشاعر [من الرجز] :

شمت من يشتمني مخالطاً لأصرف العاذل عن حاجته
 فقال : لما وقع البراز في الثوب علمنا أنه من حاجته
 وكما قال الآخر [من الطويل] :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم أر كالدنيا تدم وتخلب
 وكما قال الآخر [من البسيط] :

نبئت أني إذا ما غبت تشتمني قل ما بدا لك فالمحبوب مسبوب

قطعة من حل الصاحب وغيره نظم المتنبي

واستعانتهم بألفاظه ومعانيه في الترسل

فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة :

وأما قلعة (كذا) فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تعطس

بأنف شامخ من المنعة ، وتنبو بعطف جامع على الخطبة . وترى أن الأيام

قد صالحتها على الإغفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث .
فلما أتاح الله للدنيا ابن بجدتها ، وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون ما بين البحور
والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتهم على مقدار . فما لبثوا أن رأوا معقلهم
الحصين ومشواهم القديم ، نهزة الحوادث ، وفرصة البوائق . وبجر العوالى .
ومجرى السوابق .

وإنما ألم بألفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما [من الكامل] :

حتى أتى الدنيا ابن بجدتها فشكا إليه السهل والجبل
والآخر [من الطويل] :

تذكرت ما بين العذيب وبارق بحر عوالينا ومجرى السوابق
وفصل له -- لئن كان الفتح جليل الخطر . عظيم الأثر ، فإن سعادة مولانا
لتبشر بشوافع له . يعلم معها أن الله أسراراً فى علاه لا يزال يبيدها . ويصل
أوائلها بتوائلها .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولله سر فى علاك ، وإنما كلام العدى ضرب من الهذيان
فصل -- ولو كان ما أحسنه شخيلة فى قلم كاتب لما غيرت خطه ، أوقذى
فى عين نائم لما انتبه جفنه .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولو قلم ألقيت فى شق رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب
وقول نصر [من السريع] :

ضنيت حتى صرت لو زج بى فى ناظر الشائم لم ينتبه
ومنه أخذ ابن العميد قوله [من الكامل] :

فلوان ما أبقيت فى جسدى قذى فى العين لم يمنع من الإغفاء
فصل للمصاحب فى التعزية -- إذا كان الشيخ القدوة فى العلم وما يقتضيه ،

والأسوة في الدين وما يجب فيه . لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ، ويؤخذ في ثارات الأسى والأسى بمذهبه . فكيف لنا بتعزيتة عند حادث رزيتة ، إلا إذا رويناه له بعض ما أخذناه عنه . وأعدنا إليه طائفة مما استفدناه منه .

وإنما هو حل من قول أبي الطيب [من الخفيف] :

أنت يا فوق أن يعزى عن الأحـ باب فوق الذى يعزىك عقلا
وبالفاظك اهتدى فإذا عزا ك قال الذى له قلت قبالا
وفصل له -- وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر

وهو من قول أبي الطيب [من الكامل] :

وذكرى رائحة الرياض كلامها تبغى الشاء على الحيا فيفوح (١)
والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمة الولي على الوسمسى ثم العهد بعد العهد (٢)
فهي تتنى على السماء ثناء طيب النشر شائعا في البلاد
من نسيم كأن مسراه في الأر واح مسرى الأرواح في الأجساد

وبما أورره من أبيات أبي الطيب كما هي قوله في كتاب أجاب به ابن العميد عن كتابه الصادر إليه عن شاطئ البحر في وصف مراكبه ومعجائبه :

(١) الحيا : المطر . شبه رائحة أزهار الرياض بالكلام ، ثم بين أن الرياض أرادت أن تتحدث عن صنائع المطر فأرسلت عبير أزهارها تحدث عنه .

(٢) الضمير المستتر في « شكرت » يعود إلى الرياض ، والولي - بفتح الواو وكسر اللام وتشديد الياء - المطر بعد مطر ، والوسمسى - بفتح فسكون - مطر الربيع . والعهد - بكسر العين ، بزنة الكتاب - أول المطر

وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفكره ، سعة صدره . ولو فعل
ذلك لرأى البحر وشلا لا يفضل عن التبرص (١) ، وثمدا لا يكثر عن الترشف (٢)
[من الطويل] :

وكم من جبال جبت تشهد أنني الـ جبال وبحر شاهد أنني البحر (٣)
وله من رسالة في التهئة بنت أولها — أهلا بعقيلة النساء ، وكريمة
الآباء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار . ثم يقول فيها
[من الوافر] :

ولو كان النساء كمثل هذى لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهِلال
وهما لأبي الطيب من قصيدة في مريثة والدته سيف الدولة إلا أنه يقول :
ولو كان النساء كمن فقدنا ۞

وللصاحب من كتاب نغزية — وقلنا : قد أخذ الزمان من أخذ ، وترك
من ترك ، فهو لا شك يعفو عن القمر ، وقد أسلم الشمس للطفل (٤) ولا يصل
الصروف بالصروف ، ولا يجمع السكسوف إلى الخسوف . فأبى حكم الملوين ،
وقد غبنك إذ قاسمك الأخوين ، إلا أن يعود فيلحق الباقي بالفاني . والغابر

(١) الوشل — بفتح الواو والشين — القليل من الماء ، والتبرص : الاكتفاء
والتبلغ بالقليل ، ولا يفضل عنه : لا يزيد على قدره

(٢) التمد — بفتح التاء — الماء القليل ، والترشف : أخذ الماء جرعة بعد جرعة
ومعنى هذه الفاصلة كمعنى سابقتها

(٣) جبت : قطعت ، جاب الأرض يحويها : قطعها

(٤) الطفل — بفتح الطاء والقاء جميعا — الوقت عند غروب الشمس ،
وأراد هنا غروبها

بالماضى [من البسيط] :

وعاد فى طلب المتروك تاركه إنا لنفعل والأيام فى الطلب
ما كان أقصروقتاً كان بينهما كما أنه الوقت بين الورد والقرب
أقول : هذا كعادة المصدور فى النفث ، وشكوى الحزن والبث ، وإلا فما
يعجب السفر من تقدم بعض ، وكل بين الراحلة والرحل ، لا يترك الموت
ساعياً على وجه الأرض ، حتى ينقله إلى بطن التراب [من السريع] :

نحن بنو الموتى فلما بالنا نعاف ما لا بد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمان هن من كسبه
فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجسام من تربه
وهذا غيظ من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبي ، وتمثل به من
شعره . ولو ذكرت نظائره لامتد نفس هذا الباب .

وليس هو بأوحد فى الاقتباس من كلامه ، هذا أبو إسحاق الصائغ
رسيله فى ذلك وزميله ، وقد قرأت له غير فصل فيما أشرت إليه ، ونهت
عليه : فمنه ما كتب فى تقرير ط — شاب مقتبل الشيبه ، مكتهل الفضيله ،
ولقد آتاه الله فى اقبال العمر جوامع الفضل ، وسوغه فى عنفوان الشباب
حامد الاستكمال . فلا تجد السكولة خلة تلافها بتناول المدة ، وثلة تسدها
بمزايا الحكمة .

وإنما هو حل نظم أبى الطيب ، وإن كان فى معنى آخر [من المنسرح] :
لا تجد الخمر فى مكانه إذا انتشى خلة تلافها

وأخذ من قول البحتري [من الطويل] :

تكرمت من قبل السكؤوس عليهم فما اسطعن أن يتحدث فىك تسكرما
ومنه ما كتب إلى ابن معروف تهته بقضاء القضاة — منزلة قاضى القضاة .

تجلى عن التهنئة ، لأن ماتسكتسبه الولاية بها من الصيت والذكر ، ويدرعونه فيها من الجمال والفخر ، سابق لها عنده ، وحاصل قبلها له ، وإذا مد أحدهم إليهما يدا تجذبها إلى سفال ، جذبتها يده إلى المحل العالى ، فكأن أبا الطيب المتنبي عناه أو حكاه بقوله [من الكامل] :

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غاية نزلوا
ومنه ما كتب - وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحلى إلى العاطل .
والغيث إلى الروض الماحل .

وإنما هو من قول أبي الطيب [من المتقارب] :

وعدت إلى حلب ظافرا كعود الحلى إلى العاطل
وإذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب في رسائلهما ، فما الظن بغيرهما ؟ وما أحسن قول الشاعر [من الطويل] :
ألا إن حل الشعرزينة كاتب ولسكن منهم من يحل فيعقد
ومن يخذو حذوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، وما أظرف ما قرأت له في كتابه إلى أبي سعيد الشيبى :
وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فسكران فى الحسن ، روضة حزن (١) بل جنة عدن . وفى شرح النفس ، وبسط الأانس ، برد الأكباد والقلوب ، وقيص يوسف فى أجفان يعقوب .

وهو من بيت أبي الطيب [من البسيط] :

كأن كل سؤال فى مسامعه قيص يوسف فى أجفان يعقوب
وفصل لأبى بكر الخوارزمى - وكيف أمدح الأمير بمخلق ضن به الهواء .

(١) حزن - بفتح فسكون - هو ههنا : موضع فى ديار بنى يربوع يشتمل على قيعان ورياض ومنازه .

وامتلات من ذكره الأرض والسماء ، وأبصره الأعشى بلا عين ، وسمه الأصم
بلا أذن .

وهو حل نظم أبي الطيب [من المنسرح] :
تنشد أثوابنا مدائحـه بألسنـ ما لهن أفواه
إذا مررنا على الأصم بها أغتته عن مسمعيه عيناه
ولأبي بكر من رسالة - ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبيكم ، وأفسد
الشعر حتى أحمد الصمم .

وهو قول أبي الطيب [من البسيط] :
ولا تبال بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم
وهذا ميدان عريض ، وشوط بطين ، وفيما ذكرته كفاية .

ولاستراقات الشعراء من أبي الطيب باب هذا مكانه .

أنموذج لسراقات الشعراء منه

١ - قال المتنبي [من الوافر] :

وقد أخذ التمام البدر فيهم وأعطاني من السقم المحاقا
أخذه أبو الفرج البيهقي فلفظه وقال [من السكامل] :
أوليس من إحدى العجائب أننى فارقته وحييت بعد فراقه
يامن يحاكى البدر عند تمامه ارحم فنى يحكيه عند محاقه

٢ - وقال أبو الطيب [من البسيط] :

قد علم البين منا البين أجفانا تدمى ، وألف فى ذا القلب أحزاننا
أخذه المهلبى الوزير وقال [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتنى فما تلتقى إلا على عبرة تجرى

- ٢ - وقال أبو الطيب وهو من قلائده [من الطويل] :
وكننت إذا يمت أرضاً بعيدة سريت فكنت السر والليل كاتمه
أخذه صاحب وقال [من الطويل] :
- ٣ - تجشمتها والليل وحف جناحه كآتي سر والظلام حمير
٤ - وقال أبو الطيب ، وهو أيضاً من قلائده [من الوافر] :
لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصن به الجمالا
أغار عليه صاحب لفظاً ومعنى فقال [من الطويل] :
لبسن برود الوشي لا يتجمل ولكن لصون الحسن بين برود
وإنما فعل ببيتيه ما فعل أبو الطيب ببيت العباس بن الأحنف [من الكامل]
والنجم في كبد السماء كآته أعني تحير مالدیه قائد
فقال [من المنسرح] :
- ما بال هذى النجوم حائرة كأنها العمى ما لها قائد
وهذه مصالحة لا سرقة (١) ، وهي مذمومة جداً عند النقدة .
- ٥ - وقال أبو الطيب : وهو من نرائده [من الطويل] :
سقاك وجيانا بك الله . إنما على العيس نور والحدور كآته
أخذه السري بن أحمد ، قال ابن جني : أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها
أبا الفوارس سلامة بن فهد ، وهي قوله [من المنسرح] :
- حيا به الله عاشقيه فقد أصبح ريخانة لمن عشقا
ولم أجد أنا هذه القصيدة في ديوان شعره ، والبيت نهاية في العذوبة وخفة
الروح .
- ٦ - والسري كثير الأخذ من أبي الطيب في مثل قوله [من الوافر] :

(١) المصالحة : أن يأخذ الشاعر معني بيت من أبيات شاعر آخر ، ولا
يكتفي بهذا حتى يضم إليه ألفاظ البيت المأخوذ أو بعضها كما رأيت .
(٤ - المتنبي)

وخرق طال فيه السير حتى حسبناه يسير مع الركاب
وهو مأخوذ من قول أبي الطيب [من الطويل] :

يخدن بنا في جوزه وكأنا على كرة أو أرضه معنا سفر
٧ - وقال السري [من الكامل] :

وأحلبها من قلب عاشقها الهوى بيتا بلا عمد ولا أطناب
وهو من قول أبي الطيب [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابية سكنت بيتا من القلب لم تضرب به طنبا
٨ - وقال السري [من الكامل] :

وأنا الفداء لمن مخيلة بركة عندي وعند سواي من أنوائه
ولما ألم فيه بقول أبي الطيب [من البسيط] :

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلن إلى من عنده الديم
٩ - وقال أبو الطيب ، وهو من قلائده [من الوافر] :

فإن تنق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال
وقال أيضاً [من الوافر] :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام^(١)
أخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين ، وهما قريب من قريب ، فقال [من الوافر] :

فديتك ما بدالى قصد حر سواك من الورى إلا بدالى
وأنتك منهم وكذلك أيضاً من الماء الفرائد والآلى

وتسكن دارهم وكذلك سكنى الـ حجارة والزمرد فى الجبال
وهذا معنى قد اخترعه المتنبي ، وكرره فى تفضيل البعض على الكل ، فأحسن

غاية الإحسان حيث قال [من الطويل] :

فإن يك سيار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد
١٠ — وقال [من البسيط] :

وإن تسكن تغلب الغلباء عنصرها فإن في الخمر معنى ليس في العنب
ألم به أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب فقال [من الطويل] :
أبوك حوى العليا وأنت مبرز عليه إذا نازعته قصب المجد
والخمر معنى ليس في السكرم مثله وفي النار نور ليس يوجد في الزند
وخير من القول المقدم فاعترف نتيجه والنحل يكرم للشهد
وقال أيضاً [من الطويل] :

أبوك كريم غير أنك سابق مداه بلا ضيم عليه ولا ذيم^(١)
فلا يعجبني الناس مما أقوله وأقضى به فالغيث أندى من الغيم
١١ — وقال أبو الطيب [من الوافر] :

وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلى أنه بعض الأنام
أخذه أبو بكر الخوارزمي فقال [من الرمل] :
قد ظلمناك بحسن الظن يا بعض الأنام
١٢ — وقال أبو الطيب [من البسيط] :

أتى الزمان بنود في شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم
أخذه أبو الفتح وحسنه فقال [من البسيط] :
لا غرو إن لم تجد في الدهر مخترفاً فقد أتيناه بعد الشيب والخرف
١٣ — وقال أبو الطيب [من الطويل] :

هما الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا . وأنت الخلاق
امتثله أبو الحسن السلامي فقال [من الطويل] :

ويشتر آمالى بملك هو الورى ودار هى الدنيا ، ويوم هو الدهر
١٤ — وقال أبو الطيب [من الخفيف] :

لم تزل تسمع المديح ولكن صهيل الجياد غير النهاق
أخذه أبو القاسم الزعفرانى ولطفه جداً فقال [من الخفيف] :
وتغنيك فى النداء طيور أنا وحدى ما بينهن الهزار

وإذ قد ذكرت أنموذجاً من سرقات الشعراء منه ، فلا بأس أن أذكر
سرقاته من الشعراء ، سوى ما أورده القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز
فى كتاب « الوساطة » فشفى وكفى وبالغ فأوفى ، وسوى ما مر ويمر منها فى
أماكنها من فصول هذا الكتاب .

ص — در من سرقاته (١)

١ — قال مخلد الموصلى [من مخلع البسيط] :
يا منزلاً ضن بالسلام سقيت رياً من الغمام
ما ترك الدهر منك إلا ما ترك الشوق من عظامى
أخذه أبو الطيب فجوده حيث قال [من البسيط] :
ما زال كل هزيم الودق ينحلها والشوق ينحلنى حتى حكى جسدى
٢ — وقال عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

فآبوا بالنهاب وبالسنابا وأبنا بالملوك مصفدينا
أخذه أبو تمام فأحسن إذ قال [من البسيط] :
إن الأسود أسود الغاب همته يوم الكريهة فى المسلوب لا الساب

(١) أخذ الشيخ يوسف البديعى صاحب « الصبيح المنى » هذه الفصول

وأخذه أبو الطيب فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش إذ هو من ألفاظ العامة [من الوافر] :

ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل المجد من نهب القماش
٣ - وقال بشار بن برد [من الطويل] :

كأن مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها
أخذه أبو الطيب وذكر الرماح مكان الأسياف فقال [من الكامل] :
وكانت كسى النهار بها دجى ليل ، وأطلعت الرماح كواكبها

٤ - وقال مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أرادوا ليخفوا قبره من عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر
ألم به أبو الطيب فقال [من الوافر] :

ومارح الرياض لها ولمكن كساها دفنهم فى التراب طيبا
٥ - وقال الفرزدق [من البسيط] :

وكنت فيهم كمطور بيلدته يسر أن جمع الأوطان والمطرا
أخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

وليس الذى يتبع الويل رائداً كمن جاءه فى داره رائد الويل
٦ - وفى قوله فى هذه القصيدة [من الطويل] :

وخيل إذا مرت بوحش وروضة أبت رعيها إلا ومرجلنا يغلى
رائحة من قول امرئ القيس [من الطويل] :

إذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا : تعالوا إلى أن يأتى الصيد نخطب

٧ - وقال أبو نواس ، ويقال : إنه أمدح بيت للمحدثين [من البسيط]

وكلت بالدهر عيناً غير غافلة بخود كفيك تأسو كل ما جرحا

أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه فقال [من الطويل] :

تتبع آثار الرزايا بجوده تتبع آثار الأسنة بالقتل

٨ — وقال أبو نواس ، وهو من قلائده في وصف الخمر [من الطويل] :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعاهمه من صدره برحيل

أخذه أبو الطيب ونقله إلى معنى آخر فقال [من الطويل] :

وما هي إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رحل العقل

٩ — وقال ابن أبي عيينة . ويروى للتخليل [من البسيط] :

زروادى القصر ، نعم القصر والوادي في منزل حاضر ، إن شئت ، أوبادى

ترقى به السفن والظلمان حاضرة والضب والنون والملاح والحادى^(١)

وهذا أحسن ما قيل في وصف مكان يجمع بين أوصاف البر والبحر

والحاضرة والبادية ، ألم به أبو الطيب في وصف متصيد عضد الدولة بناحية

سهاية جبلية تجمع الأضداد [من الرجز] :

سقى الدشت الأرزن الطوال بين المروج الفيح والأغيا^(٢)

محاور الخبزير والربال داني الخنانيص من الأشبال^(٣)

مستشرف الدب على الغزال مجتمع الأضداد والأشكال

١٠ — وقال بعض العرب ، وهو من الأمثال السائرة [من الطويل] :

إذا بل من داء به ظن أنه نجا ، وبه الداء الذى هو قاتله^(٤)

(١) الظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام ، والنون : الحوت ، والحادى : من

يسوق الابل ويزرعها . وفي الصميح « تلقى به السفن والعلمان » وهو أفضل

(٢) الدشت : الصحراء ، وهى لفظة فارسية ، والأرزن : الشجر ، والفيح :

الواسعة ومفرده فيحاء ، والغيل : أجمة الأسد

(٣) الخنانيص : أولاد الخنزير

(٤) الأبال : النجاة من المرض

أخذه أبو الطيب فقال وأحسن من الوافر | :

وإن أسلم فما أبقى ولسكن سلمت من الحمام إلى الحمام

١١ - وقال بعض الرجاز | من الرجز | :

مل يغلبى واحد أقاتله ريم على لباته سلاسله (١)

« سلاحه يوم الوغى مكاحله »

أخذه أبو الطيب فأكمل الوصف وأظهر الغرض حيث قال | من الكامل | :

من طاعنى ثغر الرجال جاذر ومن الرماح دمالج وخلاخل
ولذا اسم أعظية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل

١٢ - وقال أبو تمام | من الكامل | :

غربت خلائقه وأغرب شاعر فسه فأبدع مغرب في مغرب

أخذه أبو الطيب فقال | من الخفيف | :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعاني الدقاق

١٣ - وقال أبو تمام | من الطويل | :

يمدون بالبيض القواطع أيديا فبن سواء والسيوف قواطع

أخذه أبو الطيب فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال | من الطويل | :

همام إذا فارق الغمد سيفه وعايته لم تدر أيهما النصل

١٤ - وقال ابن الرومي | من السريع | :

لا قدست نعمى تربلتها كم حجة فيها لزندق

أخذه أبو الطيب فقال | من البسيط | :

فإنه حجة يؤذى القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

١٥ -- ولابن الرومي وأجاد [من الطويل] :

وأحسن من عقد العقيلة جيدها وأحسن من سربالها المتجرد
أخذه أبو الطيب فقال [من الرجز] :

ورب قبيح وحلى ثقال أحسن منها الحسن في المعطال

١٦ -- وقال عبيد الله بن طاهر [من الطويل] :

وجربت حتى لا أرى الدهر مغرباً على شيء لم يكن في تجاربي

أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

قد بلوت الخطوب حلواً ومرأً وسلكت الأيام حزناً وسهلاً

وقلت الزمان علماً فهايه رب قولاً ولا يحدد فعلاً

وكرر هذا المعنى فقال [من الطويل] :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهمتنا لم تزدني بها علماً

١٧ -- وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه أبي محمد

ويسليه ببقاء أبي الحسين القاسم أبياتا منها [من الكامل] :

ولقد غبت الدهر إذ شاطرته بأبي الحسين وقد رجحت عليه

وأبو محمد الجليل مصابه لكن يعني المرء خير يديه

فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها

عن أخته الصغرى ، ويسليه ببقاء السكبري حيث قال [من الخفيف] :

قاسمتك المنون شخصين جوراً جعل القسم نفسه فيك عدلاً

فإذا قنت ما أخذت بما غا درن سرى عن القواد وسلي

وتيقنت أن حظك أوفى وتبينت أن جذك أعلى

١٨ -- وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز ، على تركه الإقرار بالنظر

في شعر المحدثين : فما أخذه منه قوله [من البسيط] :

وتسكيب الشمس منك النور طالعة كما تسكيب منها نورها القمر

وهو معنى قول ابن المعتز [من السريع] :

البدز من شمس الضحى نوره والشمس من نورك تستملي

١٩ - وأخذ قوله . وهو من قلائده ، ولعله أمير شعره [من البسيط] :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأثنى وبياض الصبح يغري بي

من مصراع لابن المعتز ، ذكر ابن جني قال : حدثني المتنبي - وقت القراءة

عليه - [قال] : قال لي ابن حنابلة وزير كافور : أحضرت كتب كلها وجماعة

من الأدباء يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى . فلم يظفروا بذلك ! وكان

أكثر من رأيت كتباً :

قال ابن جني : ثم إنني عثرت بالموضع الذي أخذه منه ، إذ وجدت لابن

المعتز مصراعاً بلفظ لين صغير جداً فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالة لفظه

وحسن تقسيمه ، وهو قوله [من البسيط] :

فالشمس نمامة والليل قواد (١)

ولئن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث : إما أن يكون ألم بهذا المصراع

فحسبه وزينه ، وصار أولى به ، وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثربه

ابن المعتز فأربى عليه في جودة الأخذ ، وإما أن يكون قد اخترع المعنى

وابتدعه وتفرد به ، فله دره ! وناهيك بشرف لفظه . وبراعة نسجه !

وما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد ، وما أراد سبق

إلى مثلها . وما زال الناس يعجبون من جمع البحترى ثلاث مطابقات في قوله

من البسيط [:

وأمة كان قبح الجور يسخطها دهرأ فأصبح حسن العدل يرضيها

(١) صدره : لا تلق إلا بليل من توأمله * وبهذه :

كم عاشق وظلام الليل يستره لاني أحبته والناس رقاد

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة .
ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات ، واسكنه لا يستقل إلا
بأنشاد بيتين قبله ، وهى [من الطويل] :

عذيرى من الأيام مدت صروفاً إلى وجهه من أهوى يدالنسخ والنجوى
وأبدت بوجهى طالعات أرى بها سهام أبى يحيى مسددة نحتوى
فذاك سواد الحظ ينهى عن الهوى وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو
٢٠ - وقال ابن الرومى [من الطويل] :

أرى فضل مال المرء داء لعرضه كما أن فضل الزاد داء لجسمه
فليس لداء العرض شيء كبذله وليس لداء الجسم شيء كجسمه
ألم به أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

يتداوى من كثرة المال بالآفة لال جودا كأن مالا سقام

بعض ما تكرر فى شعره من معانيه

١ - قال [فى سيف الدولة (١)] [من الوافر] :

وأنت المرء تمرضه الحشايا لهفته . وتشفيه الحروب

وقال [يذكر الحمى التى كانت تغشاها بمصر] [من الوافر] :

وما فى طبه أنى جواد أضر بجسمه طول الحمام

٢ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من الكامل] :

ليت الحبيب الهاجرى هجر الكرى من غير جرم واصلى صلة الضنا

وقال [يمدح طاهر بن الحسين] [من الطويل] :

(١) ما بين الحاصرتين فى كل المثل ساقط من ب ، وقد آثرنا بقاءه ،

لأن فيه دلالة ما على موضوع الكلمة التى منها المثال .

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

٣ - وقال [يمدح المغيث بن بشر العجلي] [من البسيط] :

إذا بدا حجب عينيك هميتك وليس يحجبك ستر إذا احتجبا

وقال [وقد حجبته بدر عمار] [من الكامل] :

أصبحت تأمر بالحجاب الخلوة هميات است على الحجاب بقادر

من كان ضوء جبينه ونواله لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر

فإذا احتجبت فأنت غير محجب وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

٤ - وقال [من قصيدة يمدحه بها] [من المتقارب] :

أمير أمير عليه الندى جواد بخيل بأن لا يحودا

وقال [من الوافر] :

ألا إن الندى أضحي أميرا على مال الأمير أبي الحسين

٥ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

ومال وهبت بلا موعد وقرن سبقت إليه الوعيدا

وقال [من القصيدة التي كتبها إلى السلطان من حبسه] [من المتقارب] :

لقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياه دون الوعود

٦ - وقال [من قصيدة يمدح بها كافورا] [من الطويل] :

وما رغبت في عسجد أستفيده ولكنها في مفخر أستجده

وقال [من قصيدة يمدح بها أبا العشائر] [من الوافر] :

فسرت إليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش

٧ - وقال [يمدح سعيد بن عبد الله] [من البسيط] :

قد علم البين منا البين أجفانا تدمي وألف في ذا القلب أحزانا

وقال [في خلاص أبي وائل] [من المتقارب] :

كأن الجفون على مقلتي ثياب شققن على ثا كل

٨ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

كأنك بالفقر تبغى الغنى وبالموت فى الحرب تبغى الخلودا

وقال [فى الحسين بن إسحاق التتوخى] [من الطويل] :

كأنك فى الإعطاء المال مبغض وفى كل حرب للبيئة عاشق

٩ - وقال [من الخفيف] :

الذى زلت عنه شرقا وغربا ونداء مقابلى ما يزول

وقال [فى سيف الدولة] [من الطويل] :

ومن فر من إحسانه حسدا له تلقاه منه حيث ماسا نائل

١٠ - وقال [يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران] [من الكامل] :

فكأنما نتجت قياما تحتهم وكأتما ولدوا على صهواتها

وقال [فى الحسن بن عبيد الله بن طنج] [من الطويل] :

وطمن غطاريف كأن أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصم

١١ - وقال [يشكو الحمى بمصر] [من الوافر] :

جرححت مجر حالم يبق منه مكان للسيوف وللسهام

وقال [فى مريثة والده سيف الدولة] [من الوافر] :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادى فى غشاء من نبال

فصرت إذا أصابنى سهام تكسرت النصال على النصال

١٢ - وقال [يمدح أبا على هارون بن عبد الله الكاتب] [من الكامل]

وشكيتى فقد السهام لأنه قد كان لما كانلى أعضاء

وقال [قبيل مسيره من مصر يهجو كافورا] [من البسيط] :

لم يترك الدهر من قلبى ومن كبدى شيئا تتيمة عين ولا جيد

١٣ - وقال [يصف مدينة مرعش] [من الطويل] :

تضد الرياح الهوج عنها مخافة وتفزع فيها الطير أن تلقط الحبا

وقال [من قصيدة في مدح كافور] [من البسيط] :

إذا أتنها الرياح النكب في بلد فسا تهب بها إلا بترتيب

١٤ - وقال [يمدح الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة تدور فوق البيض مثل الدرام

وقال [من كلمة يمدح فيها عضد الدولة] [من الوافر] :

وألقى الشرق منها في ثيابي دنائيراً تفر من البنان

وقال (١) [يمدح أبا شجاع محمد بن أوس] [من الكامل] :

ولقد بكيت على الشباب ولمتى مسودة ، ولما وجهي رونق

حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكنت بماء جفني أشرق

١٥ - وقال [وقد أهداه عبد الله بن خراسان هدية] [من المنسرح] :

هدية ما رأيت مهيها إلا رأيت العباد في رجل

وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

أحلبا نرى أم زمانا جديدا [أم الخلق في شخص حتى أعيدا

ومثله [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل]

[هي الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى] ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلائق

ثم كرره وزاد فيه فقال [من كلمة يمدح فيها ابن العميد] [من الكامل] :

ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدما وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

والأصل فيه قول أبي نواس [من السريع] :

ليس على الله يستنكر أن يجمع العالم في واحد

وقال [من البسيط] :

متى تخطى إليه الرجل سائلة تستجمع الخلق في مثال إنسان

(١) لا يظهر لي وجه اتفاق هذين البيتين مع ما قبلهما ولا ما بعدهما .

ولا بد أن سقط من الأصول ما يوافقهما ، وكذلك سقط من الصريح المتنبي ١٧٦

١٦- وقال [في سيف الدولة] [من البسيط] :

هو الشجاع يعد البخل من جن وهو الجواد يعد الجبن من بخل
وقال [وقد ضرب أبو العساكر خيمة على الطريق فكثر سؤاله وغاشيته]

[من المنسرح] :

فقلت إن القتي شجاعته تراه في الشح صورة الفرق
والأصل فيه قول أبي تمام [من الكامل] :

أيقنت أن من السماح شجاعة تدمي ، وأن من الشجاعة جودا

١٧- وقال [يمدح أبا شجاع عضد الدولة] [من الوافر] :

ومن أعتاض منك إذا افترقنا ؟ وكل الناس زور ما خلا كا

وقال في مثله فتهرد وبالغ [من الخفيف] :

إنما الناس أنت ، وما لنا س بناس في موضع منك خال

١٨- وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض ومن فوقها والبأس والسكرم والمحض

وقال [فيه أيضا] [من البسيط] :

وما أخصك في برء بتهته إذا سلمت نكل الناس قد سلموا

١٩- وقال [يمدح كافورا ولم يلقه بعد] [من الطويل] :

تجاوز قدر المدح حتى كأنه بأحسن ما يثنى ما عليه يعاب

وقال [في عبد الله بن يحيى البحتري] [من البسيط] :

وعظم قدرك في الآفاق أوهمني أني بقلبة ما أثبت أهجوكا

وقال [يعزى عضد الدولة وقد ماتت عمته] [من السريع] :

وكان من عدد إحسانه كأنه أسرف في سبه

والأصل في هذا قول البحتري [من الخفيف] :

جل عن مذهب المديح فقد كما د يسكون المديح فيه هجاء

٢٠ — وقال [وهو مما سبق إليه] [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الخمر

وقال [من الطويل] :

أفيكم قتي حي فيخبر ناعباً بما شربت مشروبة الراح من ذهني

٢١ — وقال [يمدح سيف الدولة] [من الطويل] :

علم بأسرار الديانات واللغى له خطرات تفضح الناس والكتبا

وقال [في أبي العشائر علي بن الحسين] [من الوافر] :

كأنك ناظر في كل قلب فما يخفي عليك محل غاش

وقال [من البسيط] :

ووكّل الظن بالأسرار فأنكشفت له سراير أهل السهل والجبل

٢٢ — وقال [لبدر بن عمار يمدحه] [من الكامل] :

فاغفر فدى لك واحبني من بعدها لتخصني بعطية منها أنا

وقال [من المنسرح] :

له أياد إلى سائفة أعد منها ولا أعددها

٢٣ — وقال وهو من قلائده [من الخفيف] :

خير أعضائنا الرأس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

وقال [من المتقارب] :

وإن القيام الألى حوله لتحسد أرجلها الأروس

٣٤ — وقال [من قصيدة في مدح سيف الدولة] [من الطويل] :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلاق

وقال في وصف الخيل [من الطويل] :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب
وقريب منه قوله [من الوافر] :

يحب العاقلون على التصافي وحب الجاهلين على الوسام
٢٥ — وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء [من الخفيف] :

ذل من يغيظ الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام
وقال [في صباه] [من الخفيف] :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
٢٦ — وقال [لعل بن إبراهيم التتوخي يمدحه] [من الوافر] :

إذا ما لم تسر جيشاً إليهم أسرت إلى قلوبهم الطلوعا
وقال [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعدى فكأن القتال قبل التلاقى
وقال [من البسيط] :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا يصنع اليهم
وقال [من الخفيف] :

أبصروا الطعن في القلوب دراكا قبل أن يبصروا الرماح خيالاً
وقال [من الطويل] :

صيام بأبواب القباب جياهم وأشخاصهم في قلب خائفهم تعدو
وقال [من البسيط] :

تغير عنه على الغارات هيبة وماله بأقاصى البر أهمال
والأصل فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم « نصرت بالرعب » ثم أكثر
الناس منه ، ومن أوجز ما قالوا قول علي بن جبلة العكوك [من الهزج] :
غدا يجتمع العزم له جند من الرعب

٢٧ - وقال أبو الطيب [من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهي النفس وجده

وقال [من الطويل] :

لحي الله ذى الدنيا منا خالراكب فكل بعيد الهم فيها معذب

٢٨ - وقال [من الخفيف] :

ومعالي إذا ادعاه سواهم لزمته خيانة السراق

وقال [من الكامل] :

مسكية النفحات إلا أنها وحشية بسواهم لا تعبق

والآن حين أذكر ما ينعي على أبي الطيب، من معائب شعره ومقائحه :

ومن ذا الذى ترضى سجايه كلها كفى المرء فضلا أن تعدد معائبه (١)

ثم أقفى على آثارها بمحاسنه وسياق بدائعه وفرائده :

فحسن درارى السكواكب أن ترى طوالع فى داج من الليل غيب

١ - فتنها قبح المطالع

وحقه الحسن والعذوبة لفظاً ، والبراعة والجودة معنى ، لأنه أول ما يقرع

الأذن ويصافح الذهن ، فإذا كانت حاله تلى الضد بوجه السمع ، وزجه القلب

ونبت عنه النفس ، وجرى أوله على ماتقوله العامة ، أول الدن دردى :

ولأبى الطيب ابتداءات ليست لعمرى من أحرار الكلام وغرره ، بل

هى - كما نعاها عليه العائبون - مستشعنة لا يرفع السمع لها حجابها ، ولا يفتح

القلب لها بابها ، كقوله [من الكامل] :

هذى برزت لنا فهجت رسيها ثم انصرفت وما شفيت نسيها

(١) فى الصبح (١٨٠) « كفى المرء نبلا » وهو المحفوظ .

فإنه لم يرض بخذف علامة النداء من « هدى » ، وهو غير جائز عند النحويين .
حتى ذكر الرئيس والنسيس ، فأخذ بطرفي الثقل والبرد .
وكقوله [من المنسرح] :

« أوه بديل من قولتي وإها »

وهو برقية العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك .
وكقوله - وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف ، التعبير
معنى بديع يفي شرفه وغرابتة بالتعب في استخراجها ، ولا تقوم فائدة الانتفاع
به بإزاء التأذى باستماعه [من الطويل] :

وفاؤ كما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه
وكقوله في افتتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقيه
[من الطويل] :

كني بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا
وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة ، التي تنفر منها
السوقة ، فضلا عن الملوك .

حكى صاحب قال : ذكر الأستاذ الرئيس يوما الشعر ، فقال : وإن
أول ما يحتاج فيه إليه حسن المطلع ، فإن ابن أبي الشباب أنشدني في يوم نيزوز
قصيدة ابتداءها [من الطويل] :

« أقبر وما طلت ثراك يد الطل ؟ »

فتطيرت من افتتاحه بالقبر ، وتنخست باليوم والشعر ، فقلت : كذاك كانت
حال ابن مقاتل لما مدح الداعي بقوله [من الرمل] :

لا تقل بشري ولسكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان
فإنه نفر من قوله « لا تقل بشري » أشد نفار ، وقال : أعشى وتبتديء بهذا
في يوم مهرجان ؟ !

قال صاحب : ومن عنوان قصائده التي تحير الأفهام ، وتنفوت الأوهام ،

وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالآرتماطيقى ، وبالأعداد الموضوعه للموسيقى
[من الوافر] :

أحاد أم سداس في أحاد ليلتنا المنوطة بالتسادي
وهذا كلام الحinkel ورطانة الرط ^(١) وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماع
من مادحة فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة والمعاني المنبوذة ؟ فأى هزة
تبقى هناك ؟ وأى أريحية تثبت هنا ؟
وقد خطأه في اللفظ والمعنى كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني . حتى
احتيج في الاعتذار له ، والنضح عنه ، إلى كلام لا يستأهله هذا البيت ، ولا يتسع
له هذا الباب .

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله [من الوافر] :
ملث القطر أعطشها ربوعا | وإلا فاسقها السم النجيعا |
وقوله [من الكامل] :
أثلت فإننا أيها الظليل | نبكى وترزم تحتنا الإبل |
وقوله [من الوافر] :

بقاى شاء ليس هم ارتحالا | وحسن الصبر زمو لا الرحالا |
قال صاحب : ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة في التسلية عند
المصيبة [من الطويل] :

لا يحزن الله الأمير فإننى لأخذ من حالاته بنصيب
قال صاحب : لا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبي بنصيب من القلق !

٢ - ومنها إتباع الفقرة الغراء ، بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب . وتنافر الأطراف ،
وتخالف الآيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ،

(١) الحinkel : ما لا يسمع صوته كالذر ، والحكمة : العجمة في الكلام . والزط :
جيل من الهنود .

ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط . فبينما هو يصوغ أوفر حلى .
وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفوس وشى ، ويختال في حديقته ورد ، إذا به
وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة ، أو تعويض اللفظ ، أو تعقيد
المعنى ، إلى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج إلى الإفراط
والإحالة والفسفسة ، والركاكة والتبرؤ والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة .
فكما تلك المحاسن ، وكدر صفاءها ، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها .
واستهدف لسهام العائنين ، وتحكك بالسنة الطاعنين : فمن متمثل بقول
الشاعر [من الكامل] :

أنت العروس لها جمال رائق لسنها في كل يوم تصرخ
ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المسأكولات وبدائع
الطيبات ، ثم يتبعها بطعام وضر ، وشراب عكر ، أو من يتخير بالنبد المعشب
المثلث ، المركب من العود الهندى والمسك الأصهب والعنبر الأشهب ، ثم
يرنقه بإرسال الريح الخبيثة ، ويفسده بالرائحة الردية ، أو بالواحد من عقلاء
المجانين ينطق بنوادى الكلام ، وطرائف الحكم ، ثم يعتز به سكرة الجنون فيكون
أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول : اعذرونى فإن العذرة متعذرة .

فما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة فى المآقى ؟

وهو ابتداء ما سماع بمثله ، ومعنى تفرد بابتداعه ، ثم شفعه بما لا يبالى العاقل
أن يسقطه من شعره فقال :

كيف ثرى التى ترى كل جفن راءها غير جفنها غير راقى
وقوله [من الطويل] :

ليالى بعد الطاعنين شكول طوال ، وليل العاشقين طويل

بين لي البدر الذي لا أريده ويخفين بديراً ما إليه وصول
وما عشت من بعد الأحبة سلاوة ولكنني للنائبات حمل
وما شرقي بالماء إلا تذكرنا لماء به أهل الخليل نزل
يحرمه لمع الأسنة فوقه فليس لظمان إليه سبيل
من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهل في ألفاظها ، فجاءت مصنوعة ، ثم
اعترضته تلك العادة المذمومة ، فقال :

أغركم طول الجيوش وعرضها على شروب للجيوش أكل
إذا لم تسكن للث إلا فريسة غذاه ولم ينفعك أنك فيل
ثم أتى بما هو أطم منه فقال : وذكر الصاحب أنه من أوابده التي لا يسمع
طول الأبد بمثلها :

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول
فإن تسكن الدولات قسماً فإنها لمن ورد الموت الزوام تدول
فالصاحب : قوله « الدولات » و « تدول » من الألفاظ التي لو رزق فضل
السكوت عنها لكان سعيداً .

وقال من قصيدة جمع فيها الشذرة والبصرة ، والدرّة والآجرة [من الكامل] :
لأ يا منازل في الفؤاد منازل أقفرت أنت ، وهن منك أوامل
وهذا ابتداء حسن ومعنى لطيف ، ثم قال :

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل
وهو وإن كان مأخوذاً من قول دعبل [من الكامل] :

لا تطلبها بظلامي أحداً طرفي وقلبي في دمي اشتراكاً

فإنه أخذ بأطراف الرشاقة والملاحاة ، ثم استمر في قصيدته . فجاء بالمتوسط
المقارب والبديع النادر والردى النافر ، حيث قال :

ولذا اسم أخطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل
وهذا معنى في نهاية الحسن واللفظ لو ساعده اللفظ ، ثم قال :
كم وقفة سجرتك شوقا بعدما غرى الرقيب بنا ونج العاذل
فلم يحسن موقع قوله « سجرتك » أى ملائك (هكذا الرواية بالجيم ، ولو
كانت بالحاء من السحر لم يكن بأس) ثم قال وملح :
دون التعانق ناحلين كشكلى نصب أدقهما وضم الشاكل
أى : قريب بعضنا من بعض ، ولم تتعانق خوف الرقيب ، ثم قال فأحسن
غاية الإحسان :

للهو آوثة تمر كأنها قبل يزودها حبيب راحل
جمع الزمان فما لذيد خالص مما يشوب ، ولا سرور كامل
حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤيته المنى وهو المقام الهائل
قال ابن جني : وهذا خروج غريب ظريف حسن ، ما أعرفه لغيره ، يقول :
إن المنى رؤيته إلا أن هيئته تهول ، ثم قال فجمع أوصافا في بيت واحد :
للشمس فيه وللرياح وللسمح ب وللبهار والأسود شمائل
ثم قال وتحقق وتبرد :

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحياة وملبات مناهل (١)
وإنما ألم في صدر هذا البيت بقول أبي تمام [من المنسرح
« نأخذ من ماله ومن أدبه »

ثم قال :

علامة العلماء واللعج الذى لا ينتهى ، ولكل لج ساحل

(١) يريد : من العقيان ، ومن الحياة ، ومن المات ، فحذف النون من
« من » الجارة وألف الوصل من المجرور بها .

ثم قال فأحال :

لو طاب مولد كل حي مثله ولد النساء وماهن قوابل
قال القاضي أبو الحسن : إن طيب المولد لا يستغنى به عن القسالة ، وإن
استغنى عنها كان ماذا ؟ وأى نخر فيه ؟ وأى شرف ينال به ؟
ثم توسط وقارب فقال :

ليزد بنو الحسن الشراف تواضعا هيهات تسكنتم في الظلام مشاعل
ستروا الندى ستر الغراب سفاده فبدا ، وهل يخفى الرباب الهاطل ؟
ثم قال وتوحش وتبغض ما شاء الحاسد :

جففت وهم لا يحفخخون بها بهم شيم على الحسب الأغر دلائل
يريد بالجفخ الفخر والبذخ ، ثم قال :
يا انخر فإن الناس فيك ثلاثة : مستعظم ، أو حاسد ، أو جاهل
أى : يا هذا انخر ، خذف المنادى ، وتباغض وتبادى (١) ، ثم قال :

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا شعرا ، ولسكنى الهزبر الباسل

ثم قال وأرسله مثلاً سائراً ، وأحسن جداً :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهي الشهادة لى بأنى كامل
ما نال أهل الجاهلية كلهم شعري ، ولا سمعت بنسحري بابل

ثم قال وتعسف في اللفظ :

أما وحقك وهو غاية مقسم للحق أنت ، وما سواك الباطل

(١) قد حذف المنادى قبل فعل الأمر كثيراً في شعر العرب ، فمن ذلك

غول ذى الرمة :

ألا يا أساسى يا دارمي على البلي ولا زال منهملا بجر عائك القطر
ومنه قول الآخر :

ألا يا أساسى يا هند هند بنى بدر ولا زال حياناً عدى آخر الدهر

الطيب أنت إذا أصابك طيبه والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل
وتقدير الكلام : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والمساء أنت غاسله إذا
اغتسلت به ، وإنما ألم فيه بقول القائل [من الخفيف] :
وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تمسيه ، أين مثلك أينما ؟ !
وقال من قصيدة كهنه التي تقدمت [من البسيط] :

قد علم البين منا البين أجفانا تدعى ، وألف في ذا القلب أحزانا
أملت ساعة ساروا كشف معصمها ألبث الحى دون السير حيرانا
بالواخذات وحاديها وبى قمر يظل من وخدها فى الخدر حشيانا
وحشيان — بالحاء المهملة — من الغريب الوحشى ، الذى لا يأنس به السمع ،
ولا يقبله القلب . يقال : حشى الرجل حشياً فهو حشيان ، إذا أخذ به البهر .
يقول : إذا وخذت الإبل تحت هذا القمر أخذ به البهر لترفه . ومن المؤدبين
من يروى حشياناً بالحاء معجمة من الخشية

ثم قال ، وأحسن ولطف وظرف :

قد كنت أشفق من دمهى على بصرى فالיום كل عزيز بعدكم هانا
ثم أراد أن يزيد على الشعراء فى وصف المطايا ، فأتى - كما قال الصاحب -
بأخزى الخزايا ، فقال :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا
قال الصاحب : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح لعل له
عصبة لا يريد أن يركبوا إليه . فهل فى الأرض أخش من هذا السخف وأوضع
من هذا التبسط ؟

ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله :

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عما يراه من الإحسان عميانا

وقال ، ثم قال وأجاد في مدح الممدوح :

إن كوتبوا ، أولقوا ، أوحوربوا ، وجدوا

في الخط واللفظ والهيحاء فرسانا

كأن أسنهم في النطق قد جعلت على رماحهم في الطعن خرصانا

كأنهم يردون الموت من ظمأ أو ينشقون من الخطى ريحانا

ثم قال :

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا ظمى الشفاه جماد الشعر غرانا

والزنجى لا يوجد إلا جعد الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة ؟
وقد احتج عنه أصحاب المعاني بما يطول ذكره .

والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله في قصيدة [من المتقارب]

وملهومة زرد ثوبها ولكنة بالقنا مخمل

يفاجئ جيشاً بها حينه وينذر جيشاً بها القسطل

ثم يتصور في هذا الكلام الغث الرث فيتبعه به حيث يقول :

جعلتك في القلب لعدة لأنك باليد لا تجعل

ولو قاله بعض صبيان المكاتب لاستحيا له منه

٣ - وههنا استكراه اللفظ ، وتمقيد المعنى

وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنمها ، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة :

فيضل ويضل ويتعب ويتعب ولا ينجح ، إذ يقول في وصف الناقة [من الكامل] :

فتبيت تسد مسدأ في نيا إسأدها في المهمه الأنضاء

وتقديره : فتبيت تسد مسدأ الأنضاء في نيا إسأدها في المهمه : أى كلما قطعت

الأرض فطمت الأرض شحمها على احتذاء ومثال هذا بهذا

ويقول في المدح [من الكامل] :

أنى يكون أبا البرايا آدم وأبوك ، والثقلان أنت . محمد

وتقديره : أنى يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان

وقال من نسيب قصيدة [من الطويل] :

إذا عدلوا فيها أجبت بأنه حبيبتا قلبي فؤادى هيا جمل

أراد « يا حبيبتى » ثم أبدل الياء من حبيبتى ألفاً تخفيفاً ، و « قلبي » منصوب

لأنه بدل من حبيبتا ، و « فؤادى » بدل من قلبي ، وهذا كقولك : أخى سيدى

همولاي ، نداء بعد نداء ، ويقال فى النداء : يا زيد ، وأيا زيد ، وهيا زيد

وأشياء هذه الأبيات كثيرة فى شعره كقوله [من الطويل] :

لسانى وعينى والفؤاد وهمتى أود اللواتى ذا اسمها منك والشطر

وقوله [من الطويل] :

فتى ألف جزء رأيه فى زمانه أقل جزى بعضه الراى أجمع

وقوله [من الكامل] :

لولم تسكن من ذا الورى اللذمنك هو عقلت بمولد نسلها حواء

وهو بما اعتل لفظه ، ولم يصح معناه ، فإذا قرع السمع لم يصل إلى القلب

إلا بعد إتعاب الفكر ، وكذا الخاطر ، والحمل على القريحة . [ثم] إن ظفر بعد

العناء والمشقة فقلبا يحصل على طائل

٤ — ومنها عسف اللغة والإعراب

وهو مما سبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عند المحتجين عنه الاعتذار

تله ، والمناضلة دونه ، كقوله [من الطويل] :

فدى من على الغبراء أولهم أنا لهذا الآن الماجد الجائد القرم
ولم يحك عن العرب « الجائد » وإنما المحكى رجل جواد ، وفرس جواد ،
ومطر جواد .

وكقوله [من الطويل] :

فأرحام شعر تتصان لدنه وأرحام مال لا تنى تتقطع
وتشديد النون من « لدن » غير معروف في لغة العرب

وكقوله [من الوافر] :

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع النخيل
والمعروف عند العرب الأترج ، والترنج مما يغلط فيه العامة . قال صاحب :
لا أدري الاستهلال أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله ترنج أفصح ؟

وكقوله [من الكامل]

بيضاء يمنعا تكلم دلهما تهما ، ويمنعا الحياء تميها
فنصب « تميم » مع حذف أن ، وهو ضعيف عن أكثر النحويين .

وكقوله [من الكامل] :

وتكرمت ركباتها عن مبرك تقعان فيه ليس مسكاً أذفرا
فجمع الركبات ثم انتقل إلى التثنية فقال « تقعان » ، وهو ضعيف وغير
سديد في صناعة الإعراب

وكقوله [من الخفيف] :

ليس إلاك يا على همام سيفه دون عرضه مسلول
وكقوله [من السريع] :

لم تر من نادمت إلا كا لا لسوى ودك لى ذا كا

ووصل الضمير بإلا ، وحقه أن يفصل عنه كما قال الله تعالى (١) : « ضل من تدعون إلا إياه »

وكقوله [من البسيط] :

« لأنت أسود في عيني من الظلم »

وألف التعجب (٢) لا تدخل على أفعل ، وإنما يقال : أشد سوادا وحمرة وخضرة وكقوله [من الكامل] :

« جللا كما بي ذليك التبريح »

وحذف النون من « يكن » إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين (٣) ، لأنها تتحرك إلى الكسر ، وإنما تحذف استخفافا إذا سكنت وكقوله [من الطويل] :

« أمط عنك تشبيهي بما وكأنه »

والتشبيه بما محال

وكقوله [من الكامل] :

لعظمت حتى لو تسكون أمانة ما كان مؤتمنا بها جبرين

قال صاحب : وقلب هذه اللام إلى النون ، أبغض من رجعة المنون . ولا أحسب جبرائيل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز ، هذا على ما في البيت من الفساد والقبح

(١) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء

(٢) يريد أن صيغة « أفعل » في التفضيل والتعجب لا تبني من الأفعال الدالة على الألوان ، وهذا رأى كثير من النحاة ، ومنهم من أجاز البناء من البياض والسواد بخصوصهما

(٣) أجازة يونس بن حبيب ، واستدل له بوروده في بعض القراءات وفي الشعر العربي من مثل قول الشاعر :

فان لم تك المرأة أبدت وسامة فقد أبدت المرأة جبهة ضيفهم

وكقوله [من الطويل] :

حملت إليه من ثنائي حديقة سقاها الحجاج سقى الرياض السحاب
أى : سقى السحاب الرياض (١)

٥ — ومنها الخروج عن الوزن

كقوله [من الطويل] :

تفكره علم ، ومنطقه حكم وباطنه دين ، وظاهره ظرف
وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يبحىء عن العرب « مفاعيلن » فى عروض
الطويل غير مصرع ، وإنما جاء « مفاعيلن » . قال صاحب : ونحن نحاكاه
إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل ، فما نجد له على خطئه مساعدا
قال القاضى أبو الحسن : وقد عيب أيضا بقوله [من الرمل] :
إنما بدر بن عمار سحاب هطل فيه ثواب وعقاب
لأنه أخرج الرمل على « فاعلاتن » وأجرى جميع القصيدة على ذلك فى
الآيات غير المصرة ، وإنما جاء الشعر على « فاعلن » وإن كان أصله فى
الدائرة فاعلاتن

٦ — ومنها استعمال الغريب الوحشى

وإذا كان المتنبي من المحدثين . بل من العصريين . وجرى على رسومهم
فى اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم . بل ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة .
ثم تعاطى الغريب الوحشى ، والشاذ البدوى . بل ربما زاد فى ذلك على أقبح
المتقدمين — حصل كلامه بين طرفى تقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين .

(١) فيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعول المضاف ، وهو جائز
عند الكوفيين . وله شواهد

فمن ذلك الفن الذي ينادى على نفسه ، ويقلق موقعه في شعره وشعر غيره .
من أبناء عصره ... قوله [من الوافر] :

وما أَرْضَى لِمَقْلَتِهِ بِحِلْمٍ إِذْ انْتَبَهَتْ تَوْهَمُهُ ابْتِشَاكَ
والابْتِشَاكَ : الكذب ، ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً سوى هذا البيت .
وقوله في وصف الغيث [من الوافر] :

لساحيه على الأجداث حفش كأيدي الخيل أبصرت المخالي
الساحي : القاشر ، ومنه سميت المسحاة لأنها تقشر وجه الأرض ، والحفش ::
مصدر حفش السيل حفشاً ، إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع
وقوله في وصف السيف [من الخفيف] -

ودقيق قدي الهباء أنيق متوال في مستو هزهاز
قدي : بمعنى مقدار ، يقال : بينهما قيد ربح ، وقدي ربح
وقوله [من الكامل] :

تطس الحدود كما تطسن اليرمعا
تطسن : أى تدق ، واليرمع : الحجارة الرخوة
وقوله [من الكامل] :

وإلى حصي أرض أقام بها بالناس من تقييدها يلل
اليلل : إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم ، ولم أسمع في غير شعره .
وقوله [من الكامل] :

الشمس تشرق والسحاب كنهوراً
الكنهور : القطع من السحاب العظيمة
وقوله [من البسيط] :

وكيف أستر ما أوليت من حسن [وقد غمرت نوالاً أيها النال
والنال : المعطى

وقوله [من الوافر] :

« أسألكم عن المتديريها »

قال الصاحب : لفظة « المتديريها » لو وقعت في بحر صاف لسكدرته ، ولو ألقى ثقلها على جبل سام لهدد ، وليس المقت فيها نهاية ، ولا لغيرد معها غاية . المتديروها : المتخذوها داراً

قال الصاحب : ومن أطم ما يتعاطاه التفاسيح بالألفاظ النافرة ، والكلمات الشاذة . حتى كأنه وليد خباء ، وغذى لبن ، لم يطأ الحضر ، ولم يعرف المبر . فمن ذلك قوله [من الطويل] :

أيفطمه التوراب قبل فطامه ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل

وليس ذلك سائغاً لمثله ، وهو وليد قرية ، ومعلم ضنية
ومن الجوع الغربية التي يوردها قوله في جمع الأرض [من الوافر] :
أروض الناس من ترب وخوف وأرض أبي ثجاج من أمان
وقوله في جمع اللغة [من الطويل] :

« عليم بأسرار الديانات واللغى »

وقوله في جمع الدنيا [من الطويل]
« أعر مكان في الدنى سرج سابح »
وقوله في جمع الأخ [من الخفيف] :

« كل آخائه كرام بني الدنيا »

قال الصاحب : لو وقع « الآخاء » في رائية الشماخ لا ستثقل ، فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنا ما قلت في الأحلام وأنلك بدرة في المنام
والكلام إذا لم يتناسب زيفته جهابذته ، وبهرجته نقاده

٧ — ومنها الركافة والسفينة

بألفاظ العامة والسوقة ومما منهم

كقوله [من الطويل] :

رمانى خمس الناس من صائب استه وآخر قطن من يديه الجنادل

وقوله [من الوافر] :

وإن ما ريتنى فاركب حصانا وشله تحر له صريعا

وقوله [من الكامل] :

إن كان لا يدعى الفتى إلا كذا رجلا فسم الناس طرا إصبعها

وقوله [من الوافر] :

قسا فالأسد تفرع من يديه ورق فنيحن نفرع أن يذوبا

وقوله [من الوافر] :

تألم درزد والدرز لين كما يتألم العضب الصنيعا

وعلى ذكر الدرز فقد حكى صاحب فى كتاب الروزنامة من حديث

لحظة الصولونية المغنية ما يشبه معنى هذا البيت ، وهو أنه قال : سمعتها تقول :

يا جارية ، على بالقميمص المعمول فى النسيج . فقد آذانى ثقل الدرود

وقوله [من الخفيف] :

لسرى لباسه خشن القط ن ومروى مروى لابس القروء

وقوله [من المجتث] :

ما أنصف القوم ضبه وأمه الطرطبه

رموا برأس أييه وباكوا الام غلبه

وقوله [من البسيط] :

[يياض وجه يريك الشمس طالعة] ودر لفظ يريك الدر مخشليا

وقوله [من الكامل] :

إن كان مثلك كان أو هو كائن فبرئت حينئذ من الإسلام
قال صاحب : « حينئذ » ، ههنا أنفر من غير منفلت .
قال : ومن ركيك صنعه ، قى وصف شعره ، والزراية على غيره ، قوله
[من الخفيف] :

إن بعضاً من القريض هراء ليس شيئاً . وبعضه أحكام
منه ما يجلب البراعة والذهن ، ومنه ما يجلب البرسام
وقال : وههنا بيت نرضى باتباعه فيه ، وما ظنك بمحكم مناويه ثقة
بظهور حقه وإبراء زنده ؟ ، ولو لم يكن التحكيم بعد أبي موسى من موجب
العزم ، ومقتضى الحزم ، وهو [من الطويل] :
أطعناك طوع الدهريان ابن يوسف بشهوتنا والحاسدو لك بالرغم
وقوله [من الخفيف] :

تقتضم البحر والحديد الأعادى دونه قضم سكر الأهواز
وقوله [من الكامل] :

فكأنما حسب الأسنة حلاوة أوظنها البرنى والأزاداً (١)
قال صاحب : إذا جمع السكر إلى البرنى والأزاد تم الأمر .

قال : وكانت الشعراء تصف المآزر ، تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ذكره ،
حتى تخفى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذى لم يهتد له غيره فقال [من الكامل] :
إنى على شغفى بما فى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها
وكثير من العهر أحسن من هذا العفاف

قال القاضي : ومن أمثاله العامة قوله [من المتقارب] :

(١) البرنى : نوع من التمر ، وكذلك الأزاد ، وأصله بفتح الهمزة بزنة
سحاب ، ولكنه مد الهمزة ليقيم الوزن .

وكل مكان أتاه الفتي على قدر الرجل فيه الخطي

ومنها إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها

كقوله [من البسيط] :

مسرة في قلوب الطيب مفرقةا وحسرة في قلوب البيض واليلب

وقوله [من المنسرح] :

تجمعت في فؤادهم هم ملء فؤاد الزمان إحداهما

وقوله [من الكامل] :

لم يحك نائلك السحاب ، وإنما حمت به قصيبها الرخصاء

وقوله [من البسيط] :

إلا يشب فلقد شابت له كبد شيئا إذا خضبتة سواة نصلا

وقوله [من الطويل] :

وقد ذقت حواء البنين على الصبا فلا تحسني قلت ما قلت عن جهل

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوبا ، وللسحاب حمى ، وللزمان فؤادا .

وللسكبد شيئا ، وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح

الاستعارة وتحسن على وجه من الوجود المناسبة ، وطرق من الشبه والمقاربة .

قال صاحب : وما زلنا نتعجب من قول أبي تمام [من الكامل] :

لا تسقني ماء الملام [فأنى صب قد استعذبت ماء بكائي]

نخف علينا بحلواء البنين .

ومنها الاستكثار من قول « ذا »

قال القاضى : وهى ضعيفة فى صنعة الشعر ، دالة على التكلف ، وربما
واقفت موضعاً تليق به فاكنت قبولاً ، فأما فى مثل قوله [من الخفيف]
قد بلغت الذى أردت من البر ومن حق ذا الشريف عليك
وإذا لم تسر إلى الدار فى وقتك ذا خفت أن تسير إليك
وقوله [من الكامل] :

لو لم تكن من ذا الورى اللذمنك هو عقت بمولد نسلها حواء
وقوله [من الكامل] :

عن ذا الذى حرم الليوث كماله تنسى الفريسة خوفه لجماله
وقوله [من المنسرح] :

وان يكينا له فلا عجب ذا الحرز فى البحر غير معبود
وقوله [من الطويل] :

أفى كل يوم ذا الدمستق مقدم قفاه على الإقدام للوجه لانهم
وقوله [من الطويل] :

أبالمسك ذا الوجه الذى كنت تائقاً إليه ، وذا الوقت الذى كنت راجياً
وقوله [من الطويل] :

« وأعجب من ذا الهجر ، والوصل أعجب »

وقوله [من البسيط] :

أريد من زمنى ذا أن يبلغنى ما ليس يبلغه فى نفسه الزمن
وقوله [من الطويل] :

« يضحك فى ذا اليوم كل حبيبة »

فهو — كإتراه — سخافة وضعف ، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف

ماذا كرهناه من هذه الإشارة ، وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفاً ،
والمحدثون أكثر استعانة بها ، لكن في الفرط والندرة . أو على سبيل الغلط
والغلطة .

ومنها الإفراط في المبالغة ، والخروج فيه إلى الإحالة

كقوله [من الوافر] :

ونالوا ما اشتهوا بالحزم هونا وصاد الوحش نملهم ديبا

وقوله [من البسيط] :

وضاقت الأرض حتى صارها ربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلا
فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضت بالخیل في لهوات الطفل ما سعلا

وقوله [من الوافر] :

وأعجب منك كيف قدرت تنشأ وقد أعطيت في المهد الكمالا
وأقسم لو صلحت يمين شيء لما صامح العباد له شمالا

وقوله [من الطويل] :

بمن أضرب الأمثال ؟ أم من أقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر ؟

وقوله [من الطويل] :

ولو قلم ألقيت في شق رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقوله [من البسيط] :

من بعد ما كن ليلى لا صباح له كأن أول يوم الحشر آخره
فهو بما يستهجن في صنعة الشعر ، على أن كثيرا من النقادة لا يرتضون هذا
الإفراط كله .

ومنها تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين

كقوله [من الطويل] :

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ويجهل على أنه بي جاهل
وقوله في هذه القصيدة :

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل
قال صاحب : وما زال الناس يستبشعون قول مسلم [من الكامل] :
سلت وسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولاً
حتى جاء هذا المبدع فقال [من الوافر] :

وأجفع من فقدنا من وجدنا قيسل الفقد مفقود المثال
وأظن المصيبة في الرائي أعظم منها في المرثي .
وقوله [من الطويل] :

عظمت فلما لم تكلم مهابة تواضعت وهو العظم عظماً عن العظم
قال صاحب : وما أحسن ما قال الأصمعي لمن أنشده [من الطويل] :
فما للنوى جد النوى قطع النوى كذاك النوى قطاعة لوصال
لرسل الله تعالى على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله !

وقوله [من الطويل] :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف الضعف بل عثله ألف
وقوله [من الوافر] :

ولم أر مثل جيرانى ومثلى لمثلى عنيد مثاهم مقام
وقوله [من البسيط] :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن
وقوله [من الطويل] :

وإني وإن كان الدفين حبيبه حبيب إلى قلبي حبيب حبيبي
وقوله [من الطويل] :

لنك الخير غيري رام من غيرك الغنى وغيري بغير اللاذقية لأحق
وقوله [من المنسرح] :

ملولة ما تدوم ليس لها من ملل دائم بها ملل
وقوله [من الوافر] :

قيل أنت أنت وأنت منهم ورجستك بشر المالك اللهم
وقوله [من الوافر] :

وكلكم أتي مآتي أيه فكل فعال كلكم عجاب
وقوله [من الطويل] :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن شعري فيك من نفسه شعر
وقوله [من الخفيف] :

إنما الناس حيث أنت ، وما لنا س بناس في موضع منك خالي
وقوله [من الطويل] :

ولو لا تولى نفسه حمل حمله عن الأرض لانهدت وناء بها الحمل
وقوله [من الوافر] :

ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل النهب من نهب القماش
وقوله [من الطويل] :

وطعن كأن الطعن لا طعن عنده

وقوله [من الطويل] :

أراه صغيراً قدرها عظم قدره فما لعظم قدره عنده قدر

وقوله [من الوافر] :

جواب مسألي أله نظير ولا لك فيسؤالك لا ألا لا
قال صاحب : ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمعا ، وقد سمعت ألفاء ،
ولم أسمع بالألاء ، حتى رأيت هذا المتكاف المتعسف ، الذي لا يقف حيث
يعرف

ومنها إساءة الأدب بالأدب

كقوله [من الكامل] :
فقد أسيرا قد بللت ثيابه بدم . ويل بيوله الأخذا
وقوله [من المتقارب] :
وما بين كاذبي المستغير كما بين كاذبي البائل (١)
وقوله [من الطويل] :
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لححت حاضت في الحدور والعواتق
ويقال : لما أنكرت عليه « حاضت » غيره فجعله « ذابت » ، وذكر
البول والحيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة الملوك والرؤساء
وأصبح موقفا من ذلك قوله في تصيدة يرقى بها أخت سيف الدولة .
ويحزني عنها حيث يقول [من البسيط] :
وهل سمعت سلا ما لي ألم بها فقد أطلت وما سلمت عن كسب
وما باله يسلم على حرم الملوك ، ويذكر منهن ما يذكره المتغزل في قوله
من البسيط :

يعلن حين تحي حسن مبسمها وليس يعلم إلا الله بالشنب

(١) الكاذبة : ما حول السوأة من ظاهري الفخذين ، أو لحم مؤخرهما

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول : لو عزائي إنسان عن حرمة لي يمثل
هذا لألحقته بها ، وضربت عنقه على قبرها . قال الصاحب : ولقد مررت على
مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحسن ، على سوء أدب النفس ،
وما ظنك بمن يخاطب ملكا في أمه بقوله [من الوافر] :

بعيشك هل ساوت فإن قلبي وإن جانبت أرضك غير سالي ؟
فيتشوق إليها ، ويخطيء خطأ لم يسبق إليه . وإنما يقول مثل ذلك من
يرثي بعض أهله ، فأما استعماله إياه في هذا الموضع فندال على ضعف البصر
بمواقع الكلام . وفي هذه القصيدة :

رواق العز فوقك مسبطر وملك على ابنك في كمال
ولعل لفظة الاسبطرار في مرثي النساء من الخذلان الرقيق الضعيف المتبر
قال : ولما أبدع في هذه القصيدة واخترع قال :

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال
فلا أدري هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدته ملك يرثيها بالجمال أم
قوله في وصف قبر أيتها وجوارحها
أتين المصائب غافلات فدمع الحزن في دمع الدلال ؟

ومنها الإيضاح عن ضعف المقيدة ورقة الدين

على أن الديانة ليست عيارا على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سببا لتأخر
الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به
قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق
به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في
وقته ، وكثيرا ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله [من الحفيف] :

يترشقن من في رشفات هن فيه أحلي من التوحيد
وقوله [من الطويل] :

ونصني الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضى الذي يسمى الإله ولا يكنى
وقوله من قصيدة مدح بها العلوي [من الطويل] :

وأبهر آيات التهامي أنه أبوكم ، وإحدى ما لكم من مناقب
وقوله [من الكامل] :

تتقاصر الأفهام عن إدراك مثل الذي الأفلاك فيه والدنا
وقد أفرط جداً ؛ لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل .
وقوله [من المنسرح] :

الناس كالعابدين آله وعبيده كالموحد اللاه
وقوله [من الكامل] :

لو كان عليك بالإله مقسماً في الناس ما بعث الإله رسولا
أو كان لفظك فيهم ما أنزل التوراة والفرقان والإنجيلا
وقوله [من الكامل] :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شمساً
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيانا عيسى
عازر : اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام ، بإذن الله عز وجل .
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
وكان المعاني أعيته حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء ، وفي هذه القصيدة
يامن نلوذ من الزمان بظله أبداً ، ونطرد باسمه إلبينا

وقوله وقد جاوز حد الإساءة [من مجزوء الرجز] :

أي محل أرتقى ؟ أي عظيم أرتقى ؟

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
 محترق في شمتي كشجرة في مفرق
 وقبيح بمن أوله نطفة منيرة ، وآخره جيفة قلدة . وهو فيما بينهما حامل
 بول وعذرة . أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة .

ومنها الغلط بوضع الكلام في غير موضعه

كقوله [من الوافر] :

أغار من الزجاجة وهي تجري على شفة الأمير أبي الحسين
 وهذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبيه . كما قال أبو الفتح كشاجم وأحسن
 [من الوافر] :

أغار إذا دنت من فيه كأس على در يقبله الزجاج
 فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاهها !
 وكقوله [من المتقارب] :

وغير المستقيم قول الرضا إذ إن علياً ثقیلاً وحسب
 فجعل الأمراء يوشى بهم ، وإنما الوشاية السعاية ونحوها [من الرعية] ،
 ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوه ، ويجرى العدو بجري بعض أصحابه
 وليس في اللغة أن يقال : وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته .
 وكقوله في وصف الحبي المعركة [من الوافر] :

إذا ما فارقتني غسلتني كأنا عاكفان على حرام
 وليس الحرام أخص بالاعتسال منه من الحلال .
 وكقوله في وصف مهره [من الرجز] :

وزاد في الأذن على الخرائق .

وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والاتصاف ، وتشبه بطرف القلم ،
وأذن الأرنب ، على الضد من هذا الوصف .

ومنها استعمال ألفاظ المتصوفة

واستعمال كلماتهم المعقدة ، ومعانيهم المغلفة ، في مثل قوله في وصف
فرس : [من الطويل] :

[وتسعدني في غمرة بعد غمرة] سبوح لها منها عليها شواهد
وقوله [من الوافر] :

إذا ما الكأس أرعشت اليمين عكوت فلم تحل بيني وبين
وقوله [من الطويل] :

أفيكم قتي حتى يخبرني عني بما شربت مشروبة الراح من ذهني
وقوله [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الخمر !
وقوله [من الكامل] :

كبر العيان على حتى إنه صار اليقين من العيان توهما
وقوله [من الكامل] :

وبه يضمن على البرية ، لا بها وعليه منها ، لا عليها ، يوسى
وقوله [من الوافر] :

ولولا أتي في غير نوم لكنت أظني مني خيالا
قال صاحب : ولو وقع قوله [من الخفيف] :

نحن من ضايق الزمان له فيك ، وخاتته قربك الأيام
في عبارات الجنيد والشبلي لتنازعته المتصوفة دهرًا بعيدًا

ومن أشد ما قاله في هذا المعنى قوله [من الطويل] :

ولكنك الدنيا إلى حبيبة فما عنك لي إلا اليك ذهاب

ومنها الخروج عن طريق الشمر

إلى طريق الفلسفة

كقوله [من الكامل] :

ولجأت حتى كدت تبخل حائلا للمنتهى ، ومن السرور بكاء

وقوله [من الخفيف] :

والأسى قبل فرقة الروح عجز والأسى لا يكون قبل الفراق

وقوله [من الخفيف] :

إلف هذا الهواء أوقع في الآذ نفس أن الحمام مر المذاق

وقوله [من البسيط] :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلف في الشجب (١)

فقل : تخلص نفس المرء سالمة ، وقيل : تشرك جسم المرء في العطب

وقوله [من الكامل] :

تخلفت صفاتك في العيون كلامه كالخط يملأ سمعى من أبصرا

وقوله [من الوافر] :

تمتع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام (٢)

فإن لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

قال ابن جني : أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها .

• • •

(١) الشجب : الهلاك .

(٢) الرجام : الحجارة توضع القبر .

ومنها استكراه التخلص

قال القاضي : لعلك لا تجد في شعره تخلصا مستكراها إلا قوله [من الوافر] :
أحبك أو يقولوا : جر نمل ثيبرا وابن إبراهيم ريعا (١)
فأما قوله [من الطويل] :

فأفنى وما أفنته نفسي . كأنما أبو الفرج القاضي له دونها كهف
وقوله [من البسيط] :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا
وقوله [من الطويل] :

أعز مكان في الدنا سرج يساح وخير جليس في الزمان كتاب
وبحر أبو المسك الخضم الذي له على كل بحر زخرة وعباب
فهى وإن لم تكن مستحسنة مختارة فليست بالمستحسن الساقط .

ومنها قبج المقاطع

كقوله بعد أبيات أحسن فيها غاية الإحسان ، وترقى الدرجة العالية ، وهى
[من الطويل] :

ولله سر فى عسلاك ، وإنما	كلام العباد ضرب من الهذيان
ألتهمس الأعداء بعد الذى رأت	قيام دليل أو وضوح بيان ؟
رأت كل من ينوى لك الغدر يبتلى	بغدر حياة أو بغدر زمان
قضى الله يا كافور أنك واحد	وليس بقاض أن يرى لك ثانى
فما لك تختار القسى ، وإنما	عن السعد ترمى دونك الثقلان

(١) ثيبر : جبل ، وابن إبراهيم : هو على بن إبراهيم التميمي مدوحه

وما لك نعي بالأسنة والقنا ورجلك طمان بغير ستان ؟
ولم تحمل السيف الطويل نجاده وأنت غني عنه بالحدثان
أرد لي جميلا جدت أو لم تجده فإنك ما أحبت في أتان
هذا البيت الذي هو عودتها

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لموقه شيء عن الدوران
وقوله في قصيدة منها [من الكامل] :
في خطه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء
واكل عين قبرة في قربه حتى كأن مغيبه الأقدار
هذا البيت الذي جعله المقطع

لو لم تسكن من ذا الورى اللذمنك هو عقلت بمولد نسلها حواء
وكقوله في آخر قصيدة [من الكامل] :
خلت البلاد من الغزاة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا

هذا آخر المقابح والمعائب . وأول المحاسن والروائع والبائعات والقلائد
والفرائد التي زاد فيها على من تقدم . وسبق جميع من تأخر

فمنها حسن المطالع

كقوله [من الطويل] :
فدينك من ربيع وإن زدتنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا
وقوله [من الكامل] :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول ، وهي المحل الثاني

وإذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان
وقوله [من الطويل] :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متم؟
لحب ابن عبد الله أولى فإنه به يبدأ الذكر الجميل ويختم
وقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبين كالقبل^(١)
وقوله [من الوافر] :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما يهب اللثام
وقوله [من البسيط] :

أفاحل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من أهم أخلاهم من الفطن
وقوله [من الكامل] :

اليوم عهدكم فأين الموعد هيات ليس اليوم عهدكم غد؟
الموت أقرب غلباً من بينكم والعيش أبعد منكم لا تبعدوا
وقوله [من البسيط] :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الألم

ومنها حسن الخروج والتخلص

كقوله [من البسيط] :

مرت بنا بين تربيها فقلت لها : من أين جئت هذا الشادن العربي^(٢)

(١) الأسل : الرماح

(٢) الشادن : الظبي إذا طلع قرنيه ، تقول : شدن الظبي شدونا

فاستضحكت ثم قالت : كالمغيث يرى نيت الشرى وهو من عجل إذا انتسبا
وقوله [من الطويل] :

وغيث ظننا تحته أن عامرا علام يمت أو في السحاب له قبر
وقوله [من الطويل] :

ولا نخفانتي القوافي ، وعاقبي عن ابن عبيد الله ضعف العزائم
إذا صلت لم أترك مصالصالصائل وإن قلت لم أترك مقالا لعالم
وقوله [من الطويل] :

نودعهم والبين فينا كأنه قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق
وقوله [من الكامل] :

ومقانب بمقانب غادرتها أقوات وحش لن من أقواتها (١)
أقبلتها غرر البلاد كأنما أيدي بني عمران في جبهاتها
وقوله [من الكامل] :

حديق يذم من القواتل غيرها بدر بن عمار بن إسماعيل
وقوله [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل
فدى نفسه بضمان النضار وأعطي صدور القنا الذابل

* * *

(١) المقانب : جمع مقنّب ، وهي الجماعة من الناس ، وأراد أنه لتمنى جيش الأعداء بجيش عظيم فغادر أعداءه طعمة للوحوش

ومنها النسيب بالأعرابيات

كقوله [من البسيط] :

من الجآذر (١) في زى الأعراب حمر الحلى والمطايا والجلابيب ؟
 إن كنت تسأل شكا في معارفها فمن بلاك بتسبيد وتعذيب ؟
 سواثر ربما سارت هوادجها منيعة بين مطعون ومضروب
 أى : لكثرة الرغبة فيهن ، وشدة الذب عنهن ، والمحاربة دونهن
 وربما وخذت أيدى المطي بها على نجيع من الفرسان مصبوب
 كم زورة لى في الأعراب خافية أدهى وقدرقدوا من زورة الذيب
 أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأثنى وبياض الصبح يغرى بى
 قد وقع التنبية على حسن هذا البيت في شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه ،
 وكونه أمير شعره

قدوا فاقوا الوحش في سكنى مراتعها وخالفوها بتقويض وتظنيب
 فؤاد كل محب في بيوتهم ومال كل أخيد المال محروب
 ما أوجه الحضرة المستحسنات به كأوجه البدويات الرعايب
 حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفى البدوة حسن غير مجلوب
 أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
 ولا برزن من الحمام مائلة أوراكن صقيلات العراقيب
 ومن هوى كل من ليست بموهبة تركت لون مشيبي غير مخضوب
 ومن هوى الصديق في قولى وعادته رغبت عن شعر فى الوجه مكذوب

وناهيك بهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن .

وله طريقة ظريفة في وصف البدويات قد تفرد بحسنها وأجاد ما شاء فيها ،

فمنها قوله [من البسيط] :

(١) الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ، والعرب تشبه
 الحسان من النساء بالبقر لسعة عيونها

هَامُ الْفُؤَادِ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَجَسْتُ بَيْتاً مِنْ الْقَلْبِ لَمْ تَضْرِبْ بِهِ طَبِيباً
مَظْلُومَةُ الْقَدْرِ فِي تَشْبِيهِهِ غَصَبْنَا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْباً^(١)
وقوله [من الكامل] :

إِنْ الذِّينَ أَقَمْتُ وَاحْتَمَلُوا أَيَّامَهُمْ لِدِيَارِهِمْ دُولُ
الْحَسَنِ يَرْحَلُ كُلُّهَا رَحَلُوا مَعَهُمْ ، وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا
فِي مَقَلَّتِي رِشْأً تَدِيرُهُمَا بِدَوِيَّةٍ فَتَنَتْ بِهَا الْحُلُلُ
تَشْكُو الْمَطَاعِمَ طَوْلَ هَجْرَتِهَا وَصُدُودَهَا وَمَنْ الذِّينَ تَصِلُ

ووصفها بقلة الطعام . وهي محمودة في نساء العرب

مَا أُسَارَتْ فِي الْقَعْبِ مِنْ لَبَنٍ تَرَكَتْهُ وَهُوَ الْمَسْكُ وَالْعَسَلُ^(٢)
قَالَتْ أَلَا تَصْحَوُ فَقُلْتُ لَهَا أَعَلِمْتَنِي أَنَّ الْهُوْىَ ثَمَلُ
وقوله [من الطويل] :

دِيَارُ اللُّوَاتِي دَارُ مَنْ عَزِيزَةٌ بِطَوْلِ الْقَنَا يَحْفَظُنْ لَا بِالْتِمَاشِ
حَسَانُ التَّثْنَى يَنْقُشُ الْوَشْيَ مِثْلَهُ إِذَا مَسَّنْ فِي أَجْسَادِهَا نَوَاحِ
وَيَسْمُنْ عَنْ دَرٍّ تَقْلُدُنْ مِثْلَهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَحَّتْ بِالْمِاسِمِ

ومنها حسن التصرف في سائر الفزل

كقوله [من الكامل] :

قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبِكََا فَالآنَ يَمْنَعُهُ الْبِكََا أَنْ يَمْنَعَا
حَتَّى كَأَنَّ لِكُلِّ عَظْمٍ رَنَةً فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عَرَقٍ مَدْمَعَا

(١) الضرب - بفتح الضاد والراء - الشهد

(٢) السؤر - بضم فسكون - ما فضل من الشرب في الاناء ، وأسار :

أبقي في الاناء فضلاً من ماء

سفرت وبرقعها الحياء بصفرة سترت محاسنها ولم تك برقعاً
فكأنها والدمع يقطر فوقها ذهب بسمطى لؤلؤ قد رصعا
كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالى أربعاً
واستقبلت قرى السماء بوجهها فأرتنى القمرين في وقت معا
وهي مما يتخنى به لرشاقتها وبلوغها كل مبالغ من حسن اللفظ وجودة
المعنى ، واستحكام الصنعة

وكقوله [من الوافر] :

أيدري الربع أى دم أراقا ؟ وأى قلوب هذا الركب شاقا ؟
لنا ولاهله أبداً قلوب تلاقى فى جسوم ما تلاقى
معناه ينظر إلى قول ابن المعتز [من الرجز] :

إننا على البعاد والتفرق لالتقى بالذكر إن لم نلتقى

ومنها :

فليت هوى الأحمية كان عدلاً فحمل كل قلب ما أطاقا

ومنها :

وقد أخذ التمام البدر فيهم وأعطاني من السقم المحاقا
وبين الفرع والقدسين نور يقود بلا أزمته النياقا
وطرف إن سقى العشاق كأساً بها نقص سقانيها دهاقا (١)
وخصر تثبت الأحداق فيه كأن عليه من خلق نطاقا

وقوله [من المنسرح] :

كأنما قدها إذا انفطلت سكران من خمر طرفها ثمل
يجذبها تحت خصرها عجز كأنه من فراقها وجل

وقوله [من الكامل] :

مثلت عينك في حشاي جراحة قتشاها كاتساها نجلاء
نفذت على السابري ، وربما تنسق فيه الصعدة السمراء

وكقوله [من الوافر] :

كأن العيس كانت فوق جفني مناضات قلبي ثن سالا
ابسن الوشي لا متجمات والسكن كي يسن به الجمالا
وضفون الغدائر لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا

ومنها حسن التشبيه بغير أداة التشبيه

كقوله [من الوافر] :

بدت قرأ ، ومالت غصن بان وفاحت عنبراً ، ورنّت غزالاً^(١)

وقوله [من البسيط] :

ترنو إلى بعين الضبي مجهشة وتمسح الطل فوق الورد بالعنم^(٢)

وقوله [من الكامل] :

قرأ ترى وسحابتين بموضع من وجهه ويمينه وشماله

وقوله [من البسيط] :

أعارني سقم عينيه وحملني من الهوى ثقل ما تحوى مآزره

وقوله [من الوافر] :

عرفت نوائب الحدثان حتى لو اتسبت لكنت لها نقياً

(١) رنت : نظرت

(٢) العنم — بفتح العين والنون جميعها — شجر حجازي له نبت أحمر ،

والعرب تشبه به أصابع الحسان

وقوله | من الكامل | :

فأتيت معتزما ولا أسد ومضيت منهزما ولا وعل

وقوله في وصف الخيل | من المتقارب | :

خرجنا من النقع في عارض ومن عرق الركض في وابل

وقوله | من الخفيف | :

وجياد يدخلن في الحرب أعرا ، ويخرجن من دم في جلال (١)

واستعار الحديد لونا وألقى لونه في ذوائب الأطفال

ومنها الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات

كقوله | من الطويل | :

وإن نهاري ليلة مدطمة على مقلة من قدكم في غياهب

بعيدة ما بين الجفون كأنما عقدتم أعالي كل هدب بحاجب

ذكر ابن جني أنه مثل قول بشار | من الوافر | :

جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصار

وذكر القاضي أنه مأخوذ من قول الطرمي في رطاناته | من الطويل

ورأسي مرفوع إلى النجم كأنما قفاى إلى صابي بخيط بخيط

وقوله | من الطويل | :

كأن رقياً منك سد مسامعي من العذل حتى ليس يدخلها العذل

كأن سهاد العين يعشق مقلتي فبينهما في كل هجر لنا وصل

وقوله | من الطويل | :

رأيت الحميا في الزجاج بكفه فشبها بالشمس في البدر في البحر

وقوله في الحمى [من الوافر] :

وزائرني كأن بها حياة فليس تزور إلا بالظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعاقبها وباتت في عظامي

وقوله في وصف الظبي [من الرجز] :

أغناه حسن الجيد عن لبس الحلى وعادة العرى عن التفضل
كأنه مضمنح يصندل *

وقوله في سرعه الأوبة وتقليل اللبث [من الوافر] :

وما أنا غير سهم في هواء يعود ولم يجد فيه امتساكا
قال ابن جني : قد اختلف أهل النظر في هذا الموضع ، فقال قوم : إن
السهم والحجر ونحوهما إذا رمى به صعدا فتناهى صعوده كانت له في آخر ذلك
لبثة ما ، ثم يتصوب منحدرًا . وقال آخرون : لا لبثة له هناك ، وإنما أول
وقت انحداره آخر وقت صعوده .

وقوله — وهو أحسن ما قيل في وصف حنة نهكت صاحبها ، واشتدت
به ، ثم عاد إلى حال السلامة وقد هذبت تلك الحال وزادته صفاء وسهولة
[من الوافر]

وربما شفيت غليل صدرى بسير أو مقام أو حسام
وضاقت خطة نخرجت منها خروج الخمر من نسج القدم (١)
وقوله وهو بما لم يسبق إليه [من الطويل] :

كريم نفضت الناس لما لقيته كأنهم ماجف من زاد قادم
وكاد سرورى لا يفي بنداقتي على تركه في عمري المتقادم
وقوله وهو من بدائع [من الوافر] :

رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً وقد وخط النواصي والفروعا

وقوله في وصف الشعر [من البسيط] :

إذا خلعت على عرض له حللا وجدتها منه في أيهى من الحلل
بذى الغباوة من إنشادها ضرر كما تضر رياح الورد بالجعل
وذلك أن الجعل إذا طرح عليه الورد غشى عليه .

ومنها التمثيل بما هو من بجنس صناعته

كقوله [من البسيط] :

وإنما نحن في جبل سواسية شر على الحر من سقم على البدن
حولى بكل مكان منهم خلق تخطى إذا جئت في استفهامها بمن
« من » إنما يستفهم بها عن يعقل ، يقول : هؤلاء كالبهائم ، فقولك لهم
« من أنتم » خطأ . إنما ينبغي أن يقال لهم « ما أنتم » لأن موضع « ما » لما
لا يعقل ، ويحكي أن جريرا لما قال [من البسيط] :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا
قال الفرزدق : ولو كان ساكنه قروداً ؟ فقال له جرير : لو أردت هذا لقلت
ما كانا ولم أقل من كانا .

وكقوله [من البسيط] :

تتاج رأيك في وقت على عجل كلفظ حرف وعاد سامع فهم
وقوله [من البسيط] :

من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن هل يلم
وقوله [من الكامل] :

أمضى إرادته فسوف له قلب واستقرب الأقصى فثم له هنا
« سوف » للاستقبال ، و « قد » موضوعه للمضي ومقاربة الحال ، يقول :

إذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته . وقوله [من الكامل] :
دون التعانق ناحلين كشكلى نصب أدقهما وضم الشاكل
وقوله [من الوافر] :

ولولا كونكم في الناس كانوا هراء كالكلام بلا معان
وقوله [من الطويل] :

قشير وبلعجان فيها خفية كرايين في ألفاظ ألثغ ناطق (١)
وقوله [من الطويل] :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم
المضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع ، مثل : أقوم ، وتقوم .
وتقوم ، ويقوم . يقول : إذا نويت فعلاً أوقعته قبل فوته . وقبل أن يقال
لم يفعل ، وأن يفعل ، وقوله [من الوافر] :

وكان ابنا عدو كثراه له يآى حروف أنيسيان
« أنيسيان » تصغير إنسان وتخفيفه ، وإنسان عدد حروفه خمسة ، وهو
اسم مكبر . فإذا صغرته زدت عليه يآى فزادت حروفه ونقصت معناه ،
فكذلك إذا كان لعدو ابنان فكثراه بهما ، فيكونان زائدين في عدده ولكن
ناقصين ، لسقوطهما وتخلفهما

ومنها المدح الموجه

كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن . كقوله [من الطويل] :

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنت الدنيا بأنك خالد

(١) أراد بقوله بلعجلان بنو العجلان ، فحذف كما حذف الشاعر في قوله :

* غداة طفت علماء بكر بن وائل *

وقد مضى ذكر شيء من ذلك في حواشينا على هذه الترجمة .

قال ابن جني : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده
لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه ، لأنه بنى البيت
على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر
سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه ، وكقوله [من البسيط] :

عمر العدو إذا لاقاه في رجم أقل من عمر ما يحوى إذا وهبا
مال كأن غراب البين يرقبه فكلما قيل هذا مجتد نعبا

وقوله [من المنسرح] :

تشرق تيجانه بغرته إشراق أفاضه بمنائها

وقوله [من المنسرح] :

تشرق أعراضهم وأوجهم كأنما في نفوسهم شيم

وقوله [من الطويل] :

إلى كم ترد الرسل فيما أتوا له كأنهم فيما وهبت ملام

وقوله [من الطويل] :

يخيل لي أن البلاد مسامعي وأنى فيها ما تقول العواذل

وقوله [من البسيط] :

كأن أسنهم في النطق قد جعلت على رماحهم في الطعن خرصانا

* * *

ومنها حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية

كقوله [من المتقارب] :

لقد رفع الله من دولة لها منك يا سيفها منصل

وقوله [من الكامل] :

لولا سمي سيوفه ومضائمه لما سلن لكن كالأجنان

وقوله [من الطويل] :

عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإنك نصل والشدائد لنصل

وقوله [من البسيط] :

يسمى الحسام وليست من مشابهة وكيف يشبه المخدم والمخدم
كل السيوف إذا طال الضراب بها يسمها - غير سيف الدولة - السام

وقوله [من الطويل] :

تهاب سيوف الهند وهي حدائد فكيف إذا كانت نزارية عربا

وقوله [من الطويل] :

تخير في سيف : ربيعة أصله وطابعه الرحمن ، والمجد صاقل

وقوله [من الخفيف] :

قلد الله دولة سيفها أند ت حساما بالمسكرات محلى
فإذا اهتز للندى كان بحراً وإذا اهتز للعدا كان نصلا

وقوله [من الطويل] :

وأنت حسام الملك والله ضارب وأنت لواء الدين والله عاقد

وقوله [من الطويل] :

لقد سل سيف الدولة المجد معلما فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثامه
على عاتق الملك الأغر نجاده وفى يد جبار السموات قائمه
وإن الذى سمي عليا لمنصف وإن الذى سماه سيفاً لظالمه
وما كل سيف يقطع الهام حده وتقطع لزبات الزمان مكارمه

وقوله [من الكامل] :

إن الخليفة لم يسمك سيفه حتى بلاك فكنت عين الصارم
وإذا تتوج كنت درة تاجه وإذا تحتم كنت فص الخاتم

وقوله [من الكامل] :

من للسيوف بأن تكون سميها في أصله وفرنده ووفائه
طبع الحديد فكان من أجناسه وعلى المطبوع من آبائه

* * *

ومنها الإبداع في سائر مدائحه

كقوله [من الكامل] :

ملك سنان قناته وبناته يتباريان دما وعرفا ساكبا
يستصغر الخضر الكبير لوفده ويظن دجلة ليس تسكني شاربيا
كالبدر من حيث التفت رأيته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقا ومغربا
كالبحر يقذف القريب جواهرها جودا ، ويبعث للبعيد سحابتا

وقوله [من الكامل] :

ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجبا له حفظ العنان بأتمل ما حفظها الأشياء من عاداتها
لومرير كفض في سطور كتابه أحصى بحافر مهرة سمياتها
كرم تين في كلامك مانلا وبين عتق الخيل في أصواتها
أعيا زوالك عن محل نلته لا تخرج الأقمار من هالاتها

فيه مدح ، ومثل مضروب ، وتشبيه نادر

ذكر الأنا م لنا فكان قصيدة أنت البديع الفرد من أبياتها

وهذا البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة ، وكقوله [من الطويل] :

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه يسايرني في كل ركب له ذكر

واستكبر الأخيار قبل لقائه فلما التقينا صخر الخبر الخبر
هذا ضد قولهم « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه »

أزالت بك الأيام عتي كأنما بنوها لها ذنب وأنت لها عذر
وكقوله [من الطويل] :

ألا أيها المال الذي قد أباده تعز فـ هذا فعله بالسكتاب
لعلك في وقت شغلت فؤاده عن الجود أو أكثر جيش محارب
وقوله [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعدى فكان القتال قبل التلاقى
وتكاد الظبا لما عودوها تنتضي نفسها إلى الأعناق
كل ذمر يزيد في الموت حسناً كبدور تمامها في المحاق
كرم خشن الجوانب منهم فهو كالماء في الشفار الرقاق
ومغال إذا ادعاه سواهم لزمت جناية السراق
وكقوله [من الخفيف] :

خير أعضائنا الروس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام
وكقوله [من المنسرح] :

قوم بلوغ الغلام عندهم طعن نخور الحكمة لا الحلم
كأنما يولد الندى معهم لاصغر عاذر ولا هرم
إذا تولوا عداوة كشفوا وإن تولوا صنيعة كتموا
تظن من فقدك اعتدادهم بأنهم أنعموا وما علوا
إن برقوا فالحتوف حاضرة أو نطقوا فالصواب والحكم
أوشهدوا الحرب لا قحاً أخذوا من مهب الدارعين ما احتكموا
أوحلقوا بالغموس واجتهدوا فقولهم « خاب سائلي » القسم (١)

(١) « خاب سائلي » هذه جملة يقولها أحدهم عند ما يخلف ، مثل قول أحدنا « برئت من كذا » .

أوركبوا الخيل غير مسرجة فإن أنفأهم لها حزم
تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شيم
أعيذك من صروف دهركم فانه في السكرام شتمهم
وكقوله [من المندرج]:

الناس مالم يروك أشباه والدهر لفظ وأنت معناه
والجود عين وأنت ناظره والبأس باع وأنت يمناه
ياراحلا كل من يودعه مودع دينه وديناه
إن كان فيما تراه من كرم فيك مزيد فزادك الله
وكقوله [من البسيط]:

تمشى السكرام على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تأتى وتبتدع
من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع
وكقوله [من الطويل]:

فلما رأوه وحده دون جيشه دروا أن كل العالمين فضول
وكقوله [من الطويل]:

وأوردهم صدر الحصان وسيفه قى بأسه مثل العطاء جزيل
جواد على العلات بالمال كله ولكنه بالدارعين بخيل
وكقوله [من الطويل]:

أرى كل ذى ملك إليك مصيره كأنك بحر والملوك جداول
إذا أمطرت منهم ومنك سحابة فوابلهم ظل وطلاك وابل
وقوله [من الطويل]:

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا وأيامه فيما يريد قيام
وكل أناس يتبعون إمامهم وأنت لأهل المسكرات إمام

ورب جواب عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قدام
وكقوله [من الطويل] :

هم المحسنون السكر في حومة الوغى وأحسن منهم كرم في المكارم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم ولسكنها معدودة في البهائم
وكقوله [من المنسرح] :

أغر أعداؤه إذا سلخوا بالهرب استكثروا الذي فعلوا
إنك من معشر إذا وهبوا ما دون أعصارهم فقد بخلوا
صكتيبة لست ربها نفل وبلدة لست حليها عطل (١)
وكقوله [من المنسرح] :

لو كفر العالمون نعمته لما عدت نفسه سجاياها
كالشمس لا تبتغي بما صنعت منفعة عندهم ولا جاها
وكقوله [من الطويل] :

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلت بياضاً خلفها وما قبا
وهذا أحسن ما يمدح به ملك أسود . ولا نهاية لحسنه ، وشرف معناه .
وجودة تشبيهه وتمثيله :

ترفع عن عون المكارم فعلة فما يفعل الفعلات إلا عذاريا (٢)
أبا كل طيب ، لا أبا المسك وحده ، وكل سحاب لا أخص الغواديا
يدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

(١) النفل - بفتح حين - هنا الغنيمة ، والعطل : الخالية من الحلي
(٢) العون : النصف من النساء ، وهي التي سبق لها الزوج ، وأراد هنا
المكرمة التي لها مثال ونظير ، والعذارى : جمع عذراء ، وأصله البكر من
النساء ، وأراد هنا المكرمة التي لا نظير لها ولم يتقدمه أحد بمثلها .

ألم فيه بقول أبي نواس | من المجتث | :

كأتما أنت شيء حوى جميع المعاني

ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك

بمثل مخاطبة المحبوب والصديق ، مع الإحسان والإبداع

وهو مذهب له : تفرد به ، واستكثر من سلوكه ، اقتداراً منه ، وتبحراً

في الألفاظ والمعاني ، ورفعاً لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدريباً لها إلى ماثلة

الملوك ، في مثل قوله لكافور [من الطويل] :

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يبغى عليه ثواب

وما شئت إلا أن أدل عواذلي على أن رأي في هواك صواب

وأعلم قوماً خالفوني فشقوا وغربت ، أتى قد ظفرت وخابوا

إذا نلت منك الود فالمال هين وكل الذي فوق التراب تراب

وقوله له [وقد أهداه مهراً أسود] [من الطويل] :

فلولم تكن في مصر ماسرت نحوها بقلب المشوق المستهام المتيم

وقوله لابن العميد [يودعه] [من الطويل] :

تفضلت الأيام بالجمع بيننا فلما حمدنا لم تدمنا على الحمد

فجد لي بقلب إن رحلت فإني مخلف قلبي عند من فضله عندي

وقوله لعضد الدولة [من الوافر] :

أروح وقد ختمت على قوادى بحبك أن يحل به سواكا

فلو أني استطعت حفظت طرفي فلم أبصر به حتى أراكا

من قصيدة تشتمل على أبيات من هذا الطراز ، سأكتبها في آخر الباب .

وكقوله لسيف الدولة [من البسيط] :

مالى أكتم حبا قد برى جسدى وتدعى حب سيف الدولة الأمم ؟
 إن كان يجمعنا حب لغرتة فليت أنا بقدر الحب نقسم
 يا أعدل الناس إلا فى معاملتى فيك الخصام ، وأنت الخصم والحكم
 إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث ييتسم
 أعيدها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن ثحمه ورم
 وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
 يأمن يعز علينا أن نفارقهم وجدانا كل شىء بعدكم عدم
 ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أن أمركم من أمرنا أمم
 إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح — إذا أرضاكم — ألم
 وبيننا ، لو رعيتم ذاك ، معرفة إن المعارف فى أهل النهى ذمم
 كم تطلبون لنا عيأ فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم
 ما أبعد العيب والنقصان من شرفى أنا الثريا وذان الشيب والهزم
 ليت الغمام الذى عندى صواعقه يزيلن إلى من عنده الديم
 أرى النوى تقتضىنى كل مرحلة لا تستقل بها الوخادة الرسم
 لأن تركنا ضميرأ عن ميامنا ليحدثن لمن ودعتهم ندم
 إذا ترحلت عن قوم وقد دروا ألا تفارقهم فالراحلون هم
 شر البلاد بلاد لا صديق بها وشر ما يكسب الإنسان ما يصم
 وشر ما قصته راحتي قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم
 وهى — على براعتها ، واستقلال أكثر آياتها بأنفسها — تكاد تدخل
 فى باب إساءة الأدب بالأدب ، وقد تقدم ذكره .

ومنها استكمال ألقاظ الغزل والنسيب

في أوصاف الحرب والجند

وهو أيضاً مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الخلق بحسن النقل .
وأعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام . كقوله [من البسيط] :
أعلى الممالك ما يبنى على الأسفل والطعن عند نجيبين كالقفل
وقوله [وهو من فرائده] من الطويل :

شجاع كأن الحرب عاشقة له إذا زارها فدته بالخيال والرجل
وكقوله [من البسيط] :

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم تركت جمعهم أرضاً بلا رجل
ما زال طرفك يجري في دمائهم حتى مشى بك مشى الشارب الثمل
وكقوله [من المنسرح] :

والطعن شزرو الأرض واجففة كأنما في فؤادها وهل
قد صبغت خدما الدماء كما يصبغ خد الخريدة الخجل
والخيل تبكي جلودها عرقاً بأدمع ما تسحبها مقل
وكقوله [من الطويل] :

تعود أن لا تقضم الحب خيله إذا الحمام لم ترفع جنوب العلائق
ولا ترد الغدران إلا وماؤها من الدم كالريحان تحت الشقائق
وكقوله [من الكامل] :

فأنتك دامية الأظلال كأنما حذيت قوائمها العقيق الأحمر
وإذا الحمائل ما يخدن بنفنف إلا شققن عليه برداً أخضر
وكقوله [من الكامل] :

قد سودت شجر الجبال شعورهم فكأن فيه مسفة الغربان

وجرى على الورق النجيع القاني فسكانه التارنج في الأغصان
وكقوله [من الوافر] :

حجى أطراف فارس شمرى يحض على التباقي في التفافى
بضرب هاج أطراب المنايا سوى ضرب المثالث والمثافى
كأن دم الجاحم في العناصى كسا البلدان ريش الحيقطان^(١)
فلو طرحت قلوب العشاق فيها لما خافت من الحدق الحسان^(٢)
وكقوله [من الطويل] :

كرعن بسبت في إناء من الورد^(٣)

==

ومنها حسن التقسيم

حكى أبو القاسم الأمدى في كتاب الموازنة بين شعري الطائيين ، قال :
سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف [من الطويل] :
وصالكم هجر ، وحبسكم قلى وعطفكم صد ، وسلمكم حرب
وأتم بحمد الله فيكم فظاظه وكل ذلول من مراكبكم صعب
فقال : والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس ، وقول أبي الطيب المتنبي في
هذا الفن أولى بهذا الوصف [من البسيط] :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ملء الزمان وملء السهل والجبل

-
- (١) العناصى : جمع عنصوة ، وهى الشعر المتفرق في جوانب الرأس .
والحيقطان : ذكر الدراج وريشه ملون .
(٢) يريد بقلوب العشاق قلوب أهله .
(٣) السبت - بكسر السين وسكون الباء - جلود تدبغ بالقرظ .

فمنحني في جندل ، والروم في وجل ، والبر في شغل ، والبحر في خجل
وكقوله [من البسيط]

الدهر معتذر ، والسيف منتظر ، وأرضهم لك مصطاف ومرتبِع
لنسي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا ، والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا
وقوله [من الطويل] :

فلم يخل من نصر له من له يد ، ولم يخل من شكر له من له فم
ولم يخل من أسمائه عود منبر ، ولم يخل دينار ولم يخل درهم
وقوله [من الوافر] :

قليل عائدى ، سقم فؤادى ، كثير حاسدى ، صعب مراعى
عليل الجسم تمتع القيام ، شديد السكر من غير المدام
وقوله [من المتقارب] :

بمصر ملوك لهم ماله ، ولكنهم ما لهم همه
فأجود من جودهم بخله ، وأحمد من حمدهم ذمه
وأشرف من عيشهم موته ، وأنفع من وجدهم عدمه
وقوله [من البسيط] :

لم نفتقد بك من وزن سوى لثق ، ولا من البحر غير الريح والسفن
ولا من الليث إلا قبح منظره ، ومن سواء سوى ما ليس بالحسن
وقوله [من الطويل] :

يجل عن التشبيه : لا الكف لجة ، ولا هو ضرغام ، ولا رأى مخدّم
ولا جرحه يؤسى ، ولا غوره يرى ، ولا حسده ينبو ولا يتثلّم
محلك مقصود ، وشانيك مفحم ، ومثلك مفقود ، ونيلك خضرم

وقوله [من الطويل] :

أذم إلى هذا الزمان أهليه فأعلمهم فدم ، وأحزمهم وغد
وأكرمهم كلب ، وأبصرهم عم ، وأسهدهم فهد ، وأشجعهم قرد
وقوله [من الكامل] :

وغناك مسألة ، وطيشك نفحة ورضاك فيشة ، وربك درهم
وقوله [من الخفيف] :

عربي لسانه ، فلسفي رأيه ، فارسية أعياده

وقوله [من الطويل] :

سقتني بها القطربلى مليحة على كاذب من وعدھا ضوء صادق
سهاد لأجفان ، وشمس لناظر ، وسقم لأبدان ، ومسك لناشق
وأغيد يهوى نفسه كل عاقل ويهوى جسمه كل فاسق

~~~~~

### ومنها حسن سياقة الأعداد

كقوله [ من الطويل ] :

على ذامضى الناس : اجتماع وفرقة      وميت ومولود ، وقال ووامق  
وقوله [ من الطويل ] :

ألا أيها السيف الذى ليس مغهداً      ولا فيه مرتاب ، ولا فئة عاصم  
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلام      وراجيك والإسلام أنك سالم  
وقوله [ من الكامل ] :

لا يستحي أحد يقال له      فضلك آل بويه أو فضلو

قدروا عفرا ، وعدوا وفوا ، سئلوا أغنوا ، علوا أعلوا ، ولوا عدلوا  
وقوله [ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ] [ من الطويل ] :

ورب جواب عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قسام  
حروف هجاء الناس فيه ثلاثة : جواد ، وريح ذابل ، وحسام  
لما سمى الجيش جواباً جعل حروفه جواداً وريحاً وحساماً ، اقتداراً واتساعاً  
في الصنعة ، وقوله [ من البسيط ] :

ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم  
فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم  
قال ابن جني : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه في هذا البيت ، ولكن  
لم يجتمع مثله في بيت ما علمت ، وقد قال البحترى [ من الخفيف ] :

اطلبوا ثالثاً سوى فاني رابع العيس والدجى والبيد  
وهذا اللفظ عذب ، واسكن ليس فيه جميع ما في بيت المتنبي ، وقوله [ من البسيط ] :

أنت الجواد بلا من ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا مدل (١)  
وقوله [ من المنسرح ] :

بي حر شوق إلى ترشفها يفصل الصبر حين يتصل  
فالشعر والفجر والمخلخل وال معصم دائي ، والفاحم الرجل (٢)  
وقوله [ من الطويل ] :

ولسكن بالفسطاط بحراً أزرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا  
وقوله [ من الطويل ] :

أميناً وإخلافا وغدرا وخسة وجبنا ، أشخصاً لحت لي أم مخازيا

(١) المذل : الضمير والقلق .

(٢) الفاحم الرجل : الشعر المسترسل

ومنها إرسال المثل في أنصاف الأبيات

كقوله [ من الطويل ] :

مصائب قوم عند قوم فوائد

وقوله [ من الطويل ] :

ومن قصد البحر استقل السواقي

وقوله [ من الطويل ] :

وخير جليس في الزمان كتاب

وقوله [ من البسيط ] :

إن المعارف في أهل النهى ذم

وقوله [ من البسيط ] :

وربما صحت الأجسام بالعلل

وقوله [ من الوافر ] :

وفي الماضي لمن بقي اعتبار

وقوله [ من المتقارب ] :

وتأني الطباع على الناقل

وقوله [ من المتقارب ] :

ومنفعة الغوث قبل العطب

وقوله [ من الكامل ] :

هيات تكم في الظلام مشاعل

وقوله [ من المنسرح ] :

ومخطئ من رميه القمر

وقوله [ من الوافر ] :

« وما خير الحياة بلا سرور »

وقوله [ من البسيط ] :

« بجمهة العير يفدى حافر الفرس »

وقوله [ من المتقارب ] :

« ولا رأى في الحب للعاقل »

وقوله [ من الطويل ] :

« ولكن طبع النفس للنفس قائد »

وقوله [ من البسيط ] :

« وليس يأكل إلا الميت الضع »

وقوله [ من الخفيف ] :

« كل ما يمنح الشريف الشريف »

وقوله [ من المنسرح ] :

« والجوع يرضى الأسود بالجيف »

وقوله [ من المتقارب ] :

« ومن فرح النفس ما يقتل »

وقوله [ من الطويل ] :

« ويستصحب الإنسان من لا يلائمه »

وقوله [ من البسيط ] :

« إن النفيس غريب حيثما كانا »

وقوله [ من الكامل ] :

« فمن الرديف وقد ركبت غضنفرأ »

وقوله [ من الطويل ] :

« إذا عظم المطلوب قلل المساعد »

وقوله [ من البسيط ] :

« ومن يسد طريق العارض المخطئ »

وقوله [ من الوافر ] :

« وأدنى الشرك في نسب جوار »

وقوله [ من الطويل ] :

« وفي عنق الحسناء يستحسن العقد »

وقوله [ من الطويل ] :

« لا تخرج الأقمار من هالاتها »

وقوله [ من الرجز ] :

« إن النفوس عتد الآجال »

وقوله [ من الطويل ] :

« ولكن صدم الشر بالشر أحزم »

وقوله [ من البسيط ] :

« أنا الغريق فما خوفي من البلل »

وقوله [ من الطويل ] :

« أشد من السقم الذي أذهب السقما »

وقوله [ من الوافر ] :

« فإن الرفق بالجاني عتاب »

وقوله [ من الكامل ] :

« إن القليل من الحبيب كثير »



وقوله [ من الطويل ] :

بغض إلى الجاهل المتعاقل

وقوله [ من البسيط ] :

وليس كل ذوات الخلب النبع

وقوله [ من البسيط ] :

وللسيوف كما للناس آجال

وقوله [ من البسيط ] :

في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وقوله [ من الوافر ] :

فأول قرح الخيل المهار

وقوله [ من البسيط ] :

والبر أوسع والدينار لمن غلبا

وقوله [ من البسيط ] :

ليس التكحل في العينين كالسكر

وقوله [ من الكامل ] :

ويبين عتق الخيل في أصواتها

\*\*\*

ومنها إرسال المثلين في مصراع البيت الواحد

كقوله [ من الطويل ] :

وكل امرئ يولى الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب

وقوله [ من المنسرح ] :

في سعة الخاقين مضطرب وفي بلاد من أختها بدل

وقوله [ من الكامل ] :

الحب ما منع الكلام الألسنا وألذ شكوى عاشق ما أعلننا

وقوله [ من الحفيف ] :

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الخمام  
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وقوله [ من الطويل ] :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانياً

وقوله [ من البسيط ] :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وقوله [ من الطويل ] :

وأتعب من ناداك من لا يجيبه وأغيط من عاداك من لا تشا كل

وقوله [ من البسيط ] :

لا تشتر العبيد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس منكيد

وقوله [ من الطويل ] :

إذ أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا  
ووضع الندي في موضع السيف بالعلا ومضر كوضع السيف في موضع الندي  
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا  
وقيدت نفسي في ذراك حبة ومن وجد الإحسان قيذاً تقيدا

ومنها إرسال المثل والاستملاء والموعظة

وشكوى الدهر والدنيا والناس .

وما يجرى مجراها .

كقوله [ من الطويل ] :

وما أجمع بين الماء والنار في يدي بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

وقوله [ من الكامل ] :

يخفي العداوة وهي غير خفية نظر العدو بما أسر ييوح

وقوله [ من المنسرح ] :

والأمر لله . رب مجتهد ما خاب إلا لأنه جاهد

وقوله [ من الطويل ] :

إليك فإني لست بمن إذا اتقى عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

وقوله [ من الكامل ] :

خير الطيور على القصور ، وشرها يأوى الخراب ويسكن الناورسا

وقوله [ من البسيط ] :

ليس الجمال لوجه صح مارنه أنف العزيز بقطع العز يجتدع

وقوله [ من الوافر ] :

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

قال ابن جني : هذا كما يقول أهل الجسد « من شك في المشاهدات فليس بكامل العقل » .

وقوله [ من الطويل ] :

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

وقوله [ من الطويل ] :

- وما تنفع الخيل السكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق السكرام كرام  
وقوله [ من البسيط ] :
- ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن  
وقوله [ من الكامل ] :
- وأحب أنى لو هويت فراقكم فارقته والدهر أخبث صاحب  
وقوله [ من الكامل ] :
- من خص بالدم الفراق فإننى من لا يرى فى الدهر شيئاً يحمد  
وقوله [ من الطويل ] :
- ومن نسك الدنيا على الحر أن يرى عذبوا له ما من صداقته باد  
وقوله [ من الخفيف ] :
- وإذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الأجسام  
وقوله [ من الكامل ] :
- تلف الذى اتخذ الشجاعة جنة وعظ الذى اتخذ الفرار خليلاً  
وقوله [ من الطويل ] :
- فإن يكن الفعل الذى ساء واحداً تأفعاله اللانى سررن ألوف  
وقوله [ من الكامل ] :
- وإذا خفيت على الغي فعاذر أن لا ترائى مقلة عمياء  
وقوله [ من البسيط ] :
- إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزى بذلوا منهار ضاك ، ومن للهور بالحول ؟ !  
وقوله [ من الوافر ] :
- فأجرك الإله على مريض بعث به إلى عيسى طبيباً  
وقوله [ من الوافر ] :
- إذا أتت الإساءة من لئيم ولم ألم المسىء فمن ألوم

وقوله [ من الكامل ] :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل

وقوله [ من المتقارب ] :

إذا ما قدرت على نقطة فإني على تركها أقدر

وقوله [ من الخفيف ] :

واستمال الأذى ورؤية جانيه غداء تضوى به الأجسام

وقوله [ من الكامل ] :

وتوهو اللعاب الوغي والطعن في الـ هيجاء غير الطعن في الميدان

وقوله [ من الخفيف ] :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزال

وقوله [ من الخفيف ] :

ومن الخير بطل سيئات غني أسرع السحب في المسير الجهام

وقوله [ من الطويل ] :

وليس الذي يتبع الوبل رائداً كمن جاءه في داره رائد الوبل

وقوله [ من المنسرح ] :

أبلغ ما يطلب النجاح به الطبع وعند التعمق الزلل

وقوله [ من البسيط ] :

كم مخلص وعلا في خوض مهلكة وقتلة فرنت بالذم في الجبن

وقوله [ من المتقارب ] :

وما قلت للبدر أنت اللجين ولا قلت للشمس أنت الذهب

ومن ركب الشور بعد الجوا د أنكر أظلافه والغيب

وقوله [ من البسيط ] :

فقر الجاهول بلا قلب إلى أدب فقر الحمار بلا رأس إلى رسن  
لا يعجبني مضيا حسن بزه وهل يروق دفيناً جودة السكفن  
وقوله [ من الوافر ] :

إذا ما الناس جربهم ليب فإني قد أكلتهم وذاقا  
فلم أر ودهم إلا خداعا ولم أر دينهم إلا نفاقا  
وقوله [ من الطويل ] :

ذريني أنل ما لا ينال من العلا  
فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل  
تريدون لقيان المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل  
وقوله [ من الطويل ] :

تمن يلد المستهام بمثله وإن كان لا يغني فتى ولا يجدي  
وغيظ على الأيام كالنار في الحشا ولسكنه غيظ الأسير على القدي  
وقوله [ من الكامل ] :

ومكائد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى  
لعنت مقاربة اللئيم فإنها ضيف يجر من الندامة ضيفنا  
وقوله [ من الطويل ] :

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يجرب  
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب  
وقوله [ من الكامل ] :

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع  
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع  
كأنه مأخوذ من قول لبيد [ من الرمل ] :

أَكْذِبْ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا      إِنْ صَدَقَ النَّفْسَ يَزِرُ بِالْأَمَلِ  
وَقَوْلُهُ [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :

وَأَتَعَبَ خَلْقَ اللَّهِ مِنْ زَادِ هَمِّهِ      وَقَصُرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسَ وَجَدَهُ  
فَلَا يَنْحُلُ فِي الْمَجْدِ مَا لَكَ كَاهُ      فَيَنْحُلُ مَجْدَ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدَهُ  
وَدَبَّرَهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَّهُ      إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدَهُ  
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ      وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ  
إِذَا كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فَأَبْلَهُ      فَأَيُّمَا تَنْفِيهِ وَإِيَّامَا تَعْدَهُ  
وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ      إِذَا لَمْ يَفَارِقْهُ النُّجَادُ وَغَمْدُهُ  
وَقَوْلُهُ [ مِنْ الْخَفِيفِ ] :

إِنَّمَا تَنْجِعُ الْمَقَاتِلَةُ فِي الْمَرْءِ      إِذَا وَافَقَتْ هَوَى فِي الْفُؤَادِ  
وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِي طَبَاعِ      لَمْ يَحْلَمْ تَقَادِمُ الْمِيلَادِ  
إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ ، وَالْأَبُّ الْقَا      طَعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ  
وَقَوْلُهُ [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :

وَمَا الْحَسَنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرْفًا لَهُ      إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فَعْلِهِ وَالْخُلَاقِ  
وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرَ الْمَوَافِقِ      وَلَا أَهْلُهُ الْأَدْنُونَ غَيْرَ الْأَصَادِقِ  
وَجَائِزَةُ دَعْوَى الْحُبِّ وَالْهَوَى      وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَلَامُ الْمَنَافِقِ  
وَمَا يُوجِعُ الْحَرَمَانُ مِنْ كُفٍّ حَارِمٍ      كَمَا يُوجِعُ الْحَرَمَانُ مِنْ كُفٍّ رَازِقِ  
وَقَوْلُهُ [ مِنْ الْخَفِيفِ ] :

إِنَّمَا أَنْفُسُ الْإِنْسِ سَبَاعُ      يَتَفَارَسُنَ جَهْرَةً وَاغْتِيَالًا  
مَنْ أَطَاقَ التَّمَاسُ شَيْءً غَلَابًا      وَاقْتَسَارًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سَوْأَلًا  
كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى      أَنْ يَكُونَ الْغَضَنْفَرُ الرِّثْيَالًا  
وَقَوْلُهُ [ مِنْ الْبَسِيطِ ] :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسَ كُلَّهُمْ      الْبُجُودُ يَفْقَرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

وقلما يبلغ الإنسان غايته      ما كل ناشية بالرجل شمال  
إنا لنى زمن ترك القبيح به      من أكثر الناس إحسان وإجمال  
ذكر الفتى عمره الثانى ، وحاجته      ما قاته ، وفضول العيش أشغال  
وقوله [ من الوافر ] :

يرى الجبناء أن العجز حزم      وتلك خديعة الطبع اللئيم  
وكل شجاعة فى المرء تغنى      ولا مثل الشجاعة فى الحكيم

قيل له : أنى يسكون الشجاع حكيماً ؟ فقال : هذا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ! .

وكم من غائب قولاً صحيحاً      وآفته من الفهم السقيم  
ولكن تأخذ الأذهان منه      على قدر القرائح والعلوم

وقوله [ من الكامل ] :

واقدرأيت الحادثات فلاأرى      يققاً يمت ولا سواداً يعصم (١)  
والهم يخترم الجسم نحافة      ويشيب ناصية الصبي زهرم  
ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله      وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم  
لا يخذل عنك من عدو دمه      وارحم شبابك من عدو رحم  
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى      حتى يراق على جوانبه الدم

قال ابن جنى : أشهد بالله لو لم يقل غير هذا البيت لتقدم به أكثر المحدثين

(١) اليقق - بفتح الياء والقاف جميعاً - الشديد البياض ، ويقال : أبيض

يقيق ، كما يقال : أسود حالك ، وأراد بياض الشعر بسبب اشتغال الشيب فيه ، كما أراد بالسواد سواد الشعر فى زمن الشباب . يقول : البياض فى الشعر لا يكون سبباً فى الموت فقد يعيش الشيخ ، وسواد الشعر لا يكون سبباً فى الحياة فقد يموت الشاب .



وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد ، لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر ،  
وقدرة على الإبداع ظاهرة .

والظلم من شيم النفوس ، فإن تجد  
ومن البلية عدل من لا يرعوى  
ومن العداوة ما ينالك نفعه  
وقوله [ من الطويل ] :

أرى كأننا يبغى الحياة لنفسه  
فحب الجبان النفس أوردته التقي  
ويختلف الرزقان والفعل واحد  
وقوله [ من الوفر ] :

وفيك إذا جنى الجاني أناة  
بنو كعب وما أثرت فيهم  
بها من قطعه ألم ونقص  
لهم حق بشركك في نزار  
لعل بنينهم لبنيك جند  
وما في سطوة الأرباب عيب  
وقوله [ من البسيط ] :

من اقتضى بسوى الهندى حاجته  
ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة  
أجاب كل سؤال عن هل لم  
ين الرجال وإن كانوا ذوي رحم

(١) القرح : جمع قارح ، وهو : ما بلسغ التاسعة من حمراء من ذوات  
الحافر ، والمهارة : جمع مهر .  
(٢) العبدان : أحد جموع العبد

هون على بصر ما شق منظره      فأنما يقظات العين كاللحم  
لا تشكون إلى خلق فتشمته      شكوى الجريح إلى الغربان والرحم  
وكن على حذر للناس تسامره      ولا يغرنك منهم ثغر مبتسم  
وقت يضيغ وعمر أنت مدته      في غير أمته من سائر الأمم  
أتى الزمان بنوه في شبيلته      فسرهم وأتيناها على الهرم  
وقوله [ من الكامل ] :

الرأى قبل شجاعة الشجعان      هو أول ، وهي المحل الثاني  
فإذا هما اجتماعا لنفس مرة      بلغت من العلياء كل مكان  
ولربما طعن الفقى أقرانه      بالرأى قبل تطاعن الأقران  
لولا العقول لكان أدنى ضيغهم      أدنى إلى شرف من الإنسان  
وقوله [ يمدح كافورا ] [ من الطويل ] :

لحا الله ذى الدنيا منا خالرا كب      فكل بعيد الهم فيها معذب  
ألا ليت شعري هل أقول قصيدة      ولا أشتكى فيها ولا أتعجب ؟  
وبى ما يذود الشعر عنى أقله      ولكن قلبي ، يا ابنه القوم ، قلب  
أما تغلط الأيام فى بأن أرى      بغيضاً تنأى أو حبياً تقرب ؟

وقوله [ يمدحه أيضا ] [ من الطويل ] :

أبى خلق الدنيا حبياً تديمه      فما طلبى منها حبياً ترده ؟  
وأسرع مفعول فعلت تغيرا      تكلف شيء فى طباعك ضده

وقوله [ يمدحه أيضا ] [ من الطويل ] :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونيه      وصدق ما يعتاده من توهم  
وعادى محبيه يقول عداته      وأصبح فى ليل من الشك مظلم

ومنها :

وما كل هاءو للجميل . بفاعل ولا كل فعال له بمتعم

ومنها :

فأحسن وجهه في الوري وجهه بحسن وأيمن كف فيهم كف منعم

وأشرفهم من كان أشرف همه وأكثر إقداماً على كل معظم

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو مساءة مجرم ؟

وقوله [ يمدح المغيث بن علي العجلي ] [ دن الوافر ] :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما يهب اللثام

ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضمام

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

وشبه الشيء منجذب إليه وأشبهنا بدنيانا الطغام

ولو لم يعمل إلا ذو محل تعالى الجيش وانحط القتام

ولو خيز الحفاظ بغير عقل تجنب عنق صيقله الحسام

وقوله [ من الحفيف ] :

أبدأ تسترد ما تهب الذر يا فياليت جودها كان بخلا

فسكفت كون فرحة تورث الغم هم واخل يغادر الوجد خلا

وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهداً ولا تتمم وصلا

كل دمع يسيل منها عليها وبفك اليمين عنها تخلى

أى : كل من أبسكته الدنيا فإنما يبسكى لفوت شيء منها . ولا يخليها الإنسان .

إلا قسراً بفك يديه .

وفي هذه القصيدة :

شيم الغانيات فيها فلا أدري لذا أنث اسمها الناس أم لا ؟

ولذيذ الحيماء أنفـس في ألفـس وأشهى من أن يمل وأحلى  
وإذا الشيخ قال أف فما مل حياة وإنما الضعف ملا  
آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولي

\*\*\*

ومنها اقتضاؤه أبكار الممانى ، في المرائى والتمازى

كقوله [ من المنسرح ] :

سالم أهل الوداد بعدهم يسلم للحزن لا لتخليد  
أى : إذا مات الصديق يسلم صديقه للحزن لا للخلود ، لأن كلاميت  
فما ترجى الخلود من زمن أحمد حاله غير محمود  
أى : أحمد حالك أن تبقى مع صديقك ، وهو مع ذلك غير محمود لتعجيل  
الحزن وانتظار الأجل .

وقوله [ من الكامل ] :

المجد أخسر والمكارم صفة  
والناس أنزل في زمانك منزلاً  
قبلاً لوجهك يا زمان ؛ فإنه  
أيموت مثل أبى شجاع فاتك  
من أن يعيش بها السكريم الأروع  
من أن تعايشهم وقدرك أرفع  
وجسه له من كل قبج برقع  
ويعيش حاسده الخصى الأوكع ؟  
وقوله [ من البسيط ] :

عدمته وكأنى سرت أطلبه  
من لا يشابهه الأحياء في شيم  
أحسن والله وأبدع ما شاء !  
فما تريدنى الدنيا على العدم  
أمسى يشابهه الأموات فى الرمم

وقوله [ من الطويل ] :

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا  
وأعيا دواء الموت كل طبيب

سبقنا إلى الدنيا ، فلو عاش أهلها منعنا بها من جيثة وذهب  
تملكها الآتي تملك سالب وفارقها الماضي فراق سلب  
هذا كقول بعضهم في الموعظة : « وإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين ،  
ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون »

علينا لك الإسعاد إن كان نافعا بشق قلوب لا بشق جيوب  
فرب كئيب ليس تندى جفونه ورب كثير الدمع غير كئيب  
وللواجد المكروب من زفراته سكون عزاء أو سكون اغيوب (١)  
وقوله [ من الكامل ] :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى أن السكواكب في التراب تغور  
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال تسير  
خرجوا به . ولكل باك خلفه صعقات موسى يوم ذلك الظور (٢)  
حتى أتوا جدنا كأن ضريحه في كل قلب موحّد مخفور  
كفل الثناء له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور  
وقوله في تعزية سيف الدولة عن أخته [ من الخفيف ] :

ولعمري لقد شغلت المنايا بالأعادى فكيف يطلبن شغلا  
وكم انتشت بالسيوف من الدهر أسيراً وبالنوال مقلا  
خطبة للحمام ليس لها رد وإن كانت المسماة ثكلا  
وإذا لم تجد من الناس كفواً ذات خدر أرادت الموت بعلا

(١) اللغوب : الاعياء الشديد .

(٢) بين هذا البيت والذي قبله في الديوان بيتان لم يذكرهما هنا ، وهما قوله :  
والشمس في كبد السماء مريضة والأرض راجفة تكاد تمور  
وجفيف أجنحة الملائك حوله وعيون أهل اللاذقية ضور

هذا أحسن ما قيل في مريثة حرم الملوكة .

وقوله في مريثة طفل لسيف الدولة وتعزيتة عنه [ من الطويل ] :

فإن تك في قبر فإنك في الحشا      وإن تك طفلاً فالأسي ليس بالطفل  
ومثلك لا يبكي على قدر سنه      ولكن على قدر الخيلة والفضل  
عزاءك سيف الدولة المقتدى به      فإنك نصل ، والشدائد للنصل  
ولم أر أعصى فيك للحزن عبدة      وأثبت عقلاً ، والقلوب بلا عقل  
تحون المنايا عهده في سليله      وتنصره بين الفوارس والرجل  
ويبقى على مر الحوادث صبره      ويبدو كما يبدو الفرند على الصقل  
وما الموت إلا سارق رق شخصه      يصول بلا كف ويسعى بلا رجل  
يرد أبو الشبل الخيس عن ابنه      ويسلمه عند الولادة للنمل  
إذ ما تأملت الزمان وصرفه      تيقنت أن الموت ضرب من القتل  
وما الدهر أهل أن يؤمل عنده      حياة وأن يشاق فيه إلى النسل  
وقوله [ من السريع ] :

نحن بنو الدنيا فما بالنا      نعاف ما لا بد من شربه  
تبخل أيدينا بأرواحنا      على زمان هن من كسبه  
فهذه الأرواح من جوه      وهذه الأجسام من تربه  
لو فكر العاشق في منتهى      حسن الذي يسببه لم يسبه  
لم ير قرن الشمس في شرقه      فشكت الأنفس في غربه  
يموت راعي الضأن في جهله      موة جالينوس في طبه  
وربما زاد على عمره      وازداد في الأمن على سربه  
وغاية المفرط في سلمه      كغاية المفرط في حربته ؟  
فلا قضى حاجته طالب      فؤاده يخفق من رعبه !

ومنها الايجاع في الهجاء

كقوله [ من المجتث ] :

إن أوحشتك المعالي فإنها دار غربة  
أو آذنتك المخازي فإنها لك نسبة

وقوله [ من البسيط ] :

إني نزلت بكذا بين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود  
جود الرجال من الأيدي ، وجودهم من اللسان ، فلا كانوا ولا الجود !  
ما يقبض الموت أنفاس من نفوسهم إلا وفي يده من تنهنا عود  
يعني العود الذي يتناوله المعالج للشيء القدر ليكون واسطة بينه وبين يده

وقوله [ من البسيط ] :

العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه في ثياب الحر مولود  
لا تشتت العبد إلا والعصا معه إن العبد لا نجاس مناكيد  
من علم الأسود المخصى مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصيد ؟  
أم أذنه في يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود ؟  
وذلك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود

كأنه من قول أبي علي البصير [ من الخفيف ] :

عجز الراكب البصير ، وأولى منه بالعجز راجل مكفوف

وقوله [ من السريع ] :

فلا ترج الخير عند امرئ مرت يد النخاس في رأسه

وقوله [ من الوافر ] :

أخذت بمدحه فرأيت لهواً مقالي للأحمق يا حكيم  
ولما أن هجوت رأيت عينا مقالي لابن آوى يا حلم

فهل من [غادر في ذا وهذا] فدفوع إلى السقم السقيم  
وقوله [من المتقارب] :

لقد كنت أحسب قبل الخصى بأن الرؤوس مقر النهى  
فلما نظرت إلى عقله رأيت النهى كلها في الخصى  
وقوله [يهجو إسحاق بن إبراهيم بن كينغ] [من الكامل] :

يمشى بأربعة على أعقابها تحت العلوج ومن وراء يلجم  
وجفونه ما تستقر كأنها مطروقة أوفت فيها حصرم  
وتراه أصغر ما تراه ناطقا ويكون أ كذب ما يكون ويقسم  
وإذا أشار مكثا فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم  
يقلى مفارقة الأكف فذاله حتى يكاد على يد يتعمم

\*\*\*

ومنها إبراز المعاني اللطيفة

في معارض الألفاظ الرشيدة الشريفة

والرمز بالطرف والملح

كقوله في الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه ، وبين مدح كافور  
وقد قصده في بيت واحد [من الطويل] :

فراق ومن فارقت غير مذمم وأم ومن يمت خير ميم  
ثم قال معرضا بسيف الدولة :

وما منزل اللذات عندي بمنزل إذا لم أجدل عنده وأكرم  
رحلت فكم باك بأجفان شادن على ، وكم باك بأجفان ضيغم



المصراع الثاني تصديق لقوله :

\* ليحدثن لمن ودعتهم ندم \*

وما ربة القرط المليح مكانه بأجزع من رب الحسام المصمم  
فلو كان ما بي من حبيب مقنع عذرت ، وليكن من حبيب معمم  
وهذا أيضا مما نهت عليه من إجرائه الممدوح من الملوك مجرى المحبوب  
في كثير من شعره :

رمى واتقى رمي ، ومن دون ما اتقى هوى كاسر كفى وقوسى وأسهمى  
وكقوله فى مدح كافور والتعريض بالقدر فى سيف الدولة [ من البسيط ] :  
قالوا : هجرت إليه الغيث ؟ قلت لهم : إلى غيوث يديه والشآئيب  
إلى الذى تهب الدولات راحته ولا يمن على آثار موهوب  
ولا يروع بمغرور به أحدا ولا يفزع موفورا بمنكوب  
يا أيها الملك الغنائى بتسمية فى الشرق والغرب عن نعت وتلقب  
يعنى أنا مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة  
أنت الحبيب ولكنى أعوذ به من أن أكون محبا غير محبوب  
وهذا أيضا من ذلك .

وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يعرض باستزادة يومه  
وشكر أمسه ، وهو من فرائده [ من المتقارب ] :

وإن فارقتنى أمطاره فأكثر غدرانها ما انضب  
وإني لأتبع تذكاره صلاة الإله وسقى السحب

ومنها فى التعريض بكافور :

ومن ركب الثور بعد الجوا د أنسكر أظلافه والغيب

وقوله فى هن كافور والتعريض باستزادته [ من الطويل ] :

أبا المسك هل في السكاس فضل أناله      فإني أغنى منذ حين وتشرب  
يقول : مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن  
تسقينى من فضل كأسك

وهبت على مقدار كفى زماننا      ونفسى على مقدار كفيك تطلب  
وقوله أيضاً فى التعريض بالاستزادة [ من الطويل ] :

أرى لى بقربى منك عينا قريرة      وإن كان قربا بالبعد يشاب  
وهل نافعى أن ترفع الحجب بيننا      ودون الذى أملت منك حجاب ؟  
أقل سلامى حب ما خف عنكم      وأسكت كما لا يكون جواب  
وفى النفس حاجات وفك فطانة      سسكوتى بيان عندها وخطاب

وكقوله فى وصف الفرس [ من الطويل ] :

ويوم كليل العاشقين كتته      أراقب فيه الشس أيا ن تغرب  
وعينى إلى أذنى أغر كأنه      من الليل باق بين عينيه كوكب  
أى : كأنه قطعة من الليل ، وكأن الغرة فى وجهه كوكب ، وعينه إلى أذنه  
لأنه كامن لا يرى شيئاً ، فهو ينظر إلى أذنى فرسه ، فان رآه قد توجس بهما  
تأهب فى أمره ، وأخذ لنفسه ، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيه  
وتقول العرب : أذن الوحشى أصدق من عينيه

له فضلة عن جسمه فى إهابه      تجىء على صدر رحيب وتذهب  
شققته به الظلماء أدنى عنانه      فيطغى ، وأرخيه مراراً فيلعب  
أى : إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه وعزة نفسه ، وإذا أرخيت  
عنانه لعب برأسه

وأصرع أى الوحش قفيته به      وأنزل عنه مثله حين أركب  
وكقوله فى التوديع [ من الوافر ] :

وإني عنك بعد غد لغاد      وقلبي في فئائك غير غاد  
محبك حيث ما اتجهت أركاني      وضعفك حيث كنت من البلاد  
وكقوله [ من الكامل ]

سر حيث شئت يحله النوار      وأراد فيك مرادك المقدار  
وإذا ارتحلت فشيعتك سلامة      حيث اتجهت وديمة مدرار  
وأراك دهرك ما تحاول في العدا      حتى كأن صروفه أنصار  
أنت الذي يجمع الزمان بذكره      وتزينت بحديثه الأسمار

وكقوله في اللطف بالصديق والعنف بالعدو [ من الكامل ] :

إني لأجبن عن فراق أحبي      وتحس نفسي بالحمام فأشجع  
ويزيدني غضب العداة جراءة      ويلم في عتب الصديق فأجزع

وكقوله في حسن الكناية [ من الخفيف ] :

تشتكي ما اشتكيت من ألم الشوق      ق إلينا ، والشوق حيث النحول  
وإنما كفى عن تكذيبها ولم يصرح به : أي أنا أشتكي الشوق ونحول يدل  
على ذلك ، وهي غير ناحلة فليست مشتاقة

وكقوله [ من الرجز ] :

أبيض ما في تاجه ميمونه      عفيف ما في ثوبه مأمونه  
أي : عفيف الفرج ، فكفى به

وكقوله في حسن الحشو [ من الكامل ] :

صلى عليك الله غير مودع      وسقى ثرى أبويك صوب غمام  
« غير مودع » حشو ، ولكنه حسن

وكقوله [ من الطويل ] :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب      يرى كل ما فيها ، وحاشاك ، فانيا

سبحان الله ! ما أحسن الحشو بقوله « وحاشاك » !

وكقوله [ من البسيط ] :

إذا خلت منك حمص ، لا خلت أبدا ! فلا سقاها من الوسمى باكرد

وكقوله في العيادة [ من الكامل ] :

لا نعدل المرض الذي بك ، شائق أنت الرجال ، وشائق علائها (١)

ومنازل الحى الجسوم ، فقل لنا : ما عذرهما في تركها خيراتها ؟

أى : لا عذر للحمى في تركها جسمك ، إذ هو أفضل الجسوم .

وكقوله [ من المنسرح ] :

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتك البلاد والسبل

لم تبق إلا قليل عافية قد وفدت تجديكها العلل

وقوله [ من الوافر ] :

تجشمك الزمان هوى وودا وقد يؤذى من المقت الحبيب

وكيف تحلك الدنيا بشيء وأنت لعلة الدنيا طيب ؟

وكيف تنوبك الشكوى بداء وأنت المستجار لما ينوب ؟

وكقوله في التهنئة وهى تهنة سيف الدولة [ من البسيط ] :

المجد عوفى إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الألم

وما أخصك فى برء بتهنة إذا سلست فكل الناس قد سلموا

وكقوله [ من الخفيف ] :

إنما التهنئات للأكفاء ولمن يدنى من البعداء

(١) « شائق » خبر مقدم ، و « أنت » مبتدأ مؤخر ، و « الرجال »

مفعول به لشائق ، و « شائق » الثانى معطوف على الأول ، و « علائها » مفعوله .

والشائق : باعث الشوق ، يقول : ألم بك المرض لأنك باعث له على الحب لك .

وأنا منك لا ينهى عضو  
وكقوله [ من البسيط ] :

الصوم والفطر والأعياد والعصر  
ما الدهر عندك إلا روضة أنف  
ما ينتهي لك في أيامه كرم  
فإن حفظك من تسكرارها شرف  
وكقوله [ من الطويل ] :

تغير حال واليالي بحالها  
وكقوله [ من البسيط ] :

تسود الشمس منا يبيض أوجهنا  
وكان حالهما في الحكم واحدة  
وكقوله [ من الطويل ] :

مشب الذي يبكي الشباب مشبيه  
وما خضب الناس البياض لأنه  
فكيف تقيه وبانيه هادمه  
قبيح، ولكن أحسن الشعر فاحمه

\*\*\*

ومنها حسن المقطع

كقوله [ من البسيط ] :

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها  
وقد شرف الناس إذ سواك إنسانا  
قال ابن جني : لا يعجبني قوله « سواك إنسانا » لأنه لا يليق بشرف  
الفاظه ، ولو قال « أنشاك » أو نحو ذلك لكان أليق بالحال .

(١) وقع في الديوان بين هذا البيت والبيت السابق بيت آخر وهو قوله :  
ترى الأهلة وجها عم نائله فما تخص به من دونها البشر

قلت أنا : ولو قال غير ما قاله لم يكن فصيحاً شريفاً . لأن في القرآن  
« ثم سواك رجلاً » (١) ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره  
وكقوله [ من المتقارب ] :

سما بك همى فوق الهموم فلست أعد يساراً يساراً  
ومن كنت بحراً له يا على لم يقبل الدر إلا كباراً  
وكقوله [ يمدح سيف الدولة ] [ من المتقارب ]

أنلت عبادك ما أملوا أنالك ربك ما تأمل  
وكقوله [ في المغيث بن علي العجلي ] [ من الوافر ] :  
وأعطيت الذي لم يعط خلق عليك صلاة ربك والسلام

### ذكر آخر شعره وأمره

لما أنجحت سفرته ، وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة ، ووصل إليه  
من صلاته أكثر من مائتي ألف درهم - استأذنه في المسير عنها ليقضى حوائج  
في نفسه . ثم يعود إليها ، فأذن له ، وأمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة ، ويقاد  
إليه الخلان الخاص . وتعاد صلاته بالمسالم الكثير ، فامتثل ذلك ، وأنشده  
أبو الطيب الكافية التي هي آخر شعره ، وفي أضعافها كلام جرى على لسانه  
كأنه ينعي فيه نفسه . وإن لم يقصد ذلك ، فمنه قوله [ من الوافر ] :

فلو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصر به حتى أراكا  
وهذه لفظة يتطير منها . ومنه :

إذا التوديع أعرض قال قلبي عليك الصمت لا صاحبت فاكا

ولولا أن أكثر ما تمنى معاودة لقلت ولا منكا  
أى : لو أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقلت له : ولا بلغت أنت  
أيضا منك ، وهذا أيضا من ذاك . ومنه :

قد استشفيت من داء بداء وأقتل ما أعلك ما شفاكا  
أى : قد أضمرت يا قلب شوقا إلى أهلك ، وكان ذلك داء لك ، فاستشفيت  
منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقة داء لك أيضا أعظم من داء شوقك  
إلى أهلك ، وهذا شبه قول النبي صلى الله عليه وسلم « كفى بالسلامة داء »  
قول حميد بن ثور [ من الطويل ] :

« وحسبك داء أن تصح وتسلم »

و « أقتل ما أعلك ما شفاكا » من ألفاظ الطيرة أيضا . ومنه :

وكم دون الثوية من حزين يقول له قدومى ذا بذاكا  
الثوية : من الكوفة . يقول له « قدومى ذا بذاك » أى هذا القدوم بتلك  
الغيبة ، وهذا السرور بذلك الحزن ، لم يقل « إن شاء الله تعالى » ومنه :  
ومن عذب الرضاب إذا انحنأ يقبل رحل تروك والوراكا  
تروك : اسم ناقة لم ير مثلهما لعضد الدولة أمر له بها ، والوراك : شئ  
يتخذها الراكب كالخدة تحت وركه

يحرم أن يمس الطيب بعدى وقد عبق العبير به وصاكا<sup>(١)</sup>  
وهذا أيضا من تلك الألفاظ . ومنه :

وفي الأحباب مختص بوجد وآخر يدعى معه اشتراكا  
إذا اشتبهت دموع فى حدود تبين من بكى بمن تباكى

(١) صاك : أراد أنه لصق به

وهذا أيضا من ذاك . ومنه :

فرل يا بعد عن أيدي ركاب لها وقع الأستة في حشاكا  
هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حشا . ومنه :  
وأيا شئت يا طارقى فكونى أذاة أو نجاسة أو هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك ، وذلك أنه ارتحل عن شیراز بحسن حال  
ووفور مال ، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرار  
في ملكة عضد الدولة ، ولم يقبل ما أشير به عليه من الاحتياط باستصحاب  
الخفراء والمبذوقين ، فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب على  
ومحاربتهم إياه ، وتسكشف الواقعة عن قتله وابنه محمد ونفر من غلمانته ، وف  
الأعراب بأمواله وذلك في سنة أربع وخمسين وثلثمائة

أنشدني أبو القاسم المظفر بن علي الطنسي الكاتب لنفسه في مرتبة المتنبي  
[ من الخفيف ] :

لارعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللسان  
ما رأى الناس ثاقى المتنبي أى ثان يرى لبسكر الزمان ؟  
كان من نفسه السكيرة في جيد ش وفي كبرياء ذى سلطان  
كان في لفظه نبيا ، ولكن ظهرت معجزاته في المعاني

فصل — وقد جمعت في القلم في إشباع هذا الباب وتذييله ، وتصديره كتنا  
برأسه في أخبار أبي الطيب والاختيار من أشعاره والتنبيه على محاسنه ومساويه  
وقد كان بعض الأصدقاء سألنى عمل ذلك ، وله الآن فيه كفاية ، وبه غنية ، فأر  
أحب إفراده عن الأبواب كان كتابا على حدة ، وإن نشط لا تنساخ الجي  
تضاعفت الفوائد لديه ، واتثالت القلائد عليه . بمشيئة الله وإرادته .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم نس